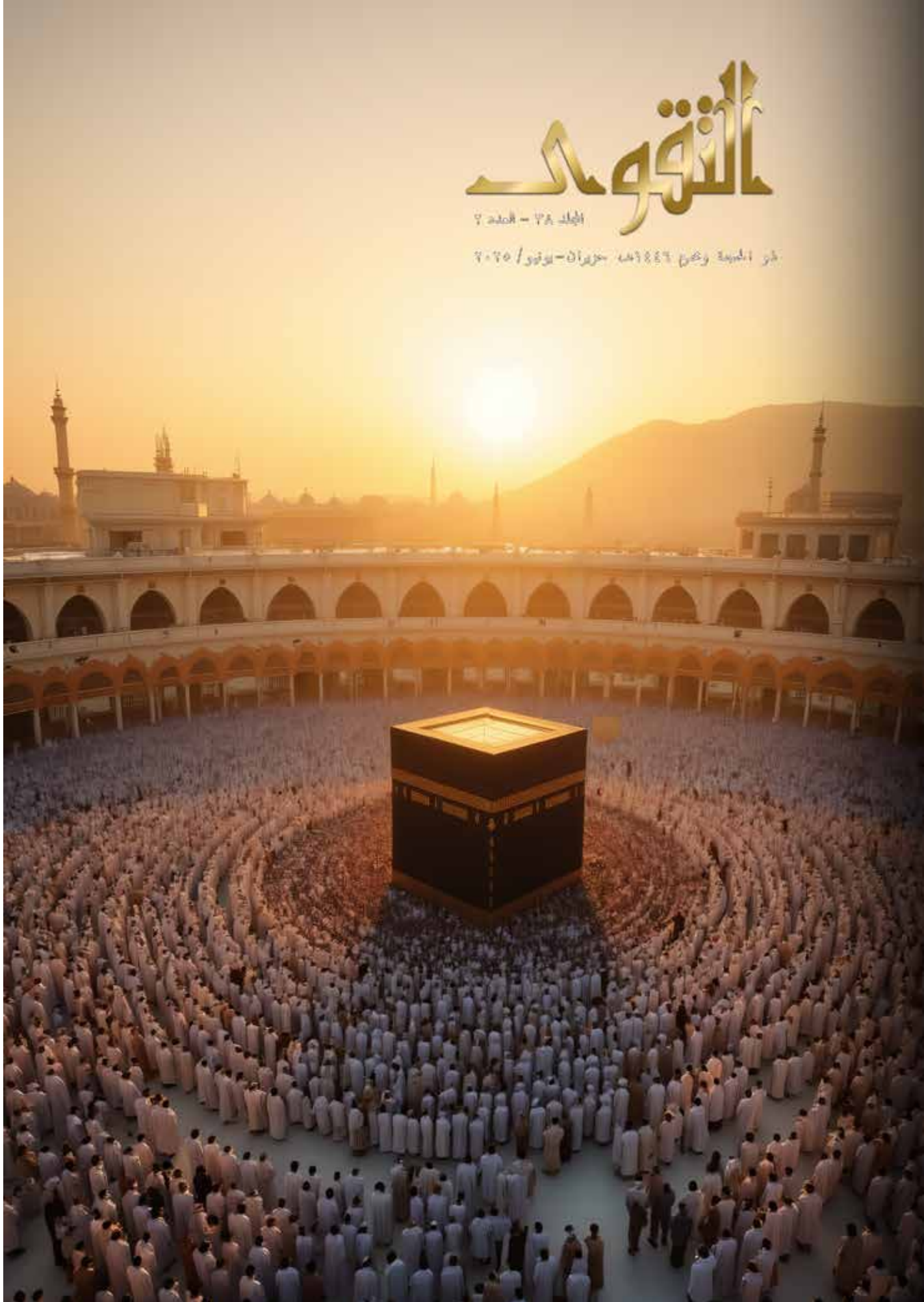
التقوى
المجلد ٢٨ - العدد ٢
ذو الحجة وخرم ١٤٤٦هـ حزيران-يونيو/ ٢٠٢٥

لا إِلٰهَ إِلا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

مواد دينية، ثقافية،
تاريخية وعلمية في غاية الأهمية.

إسلامية شهرية

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

مشرف الموقع

نفيس أحمد قمر

الاتصالات:

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا
أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية
باسم ASI Ltd

© جميع الحقوق محفوظة
للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

إخـــلاء المســـؤولية: تبـذل مجلـة التقـوى جهدهـا لضـمان دقـة المعلومـات والمـواد المنشـورة عـبر منصاتهـا، والتـي هـي نتـاج سـعي كاتبهـا إلى إبـداء وجهـة نظـره انطلاقـا مـن أسـس الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة التـي لا يملـك حـق تمثيلهـا سـوى سـيدنا المسـيح الموعـود والإمـام المهـدي (عليـه الصـلاة والسـلام) ومـن بعـده خلفائـه الأطهـار حـصرًا، فتحظـى المـادة بالموافقـة عـلى النـشر بقـدر مـا يوفَّـق كاتبهـا للبحـث والتمحيـص، إلا أن مجلـة التقـوى لا تقـدم أي ضـمان صريـح أو ضمنـي حـول مـا تنـشره مـن مـواد، وإن كانـت تسـعى بنفسـها للتأكـد مـن دقتهـا. لـذا فـإن أي خطـأ قـد يصـدر مـن الكاتـب فهـو عـلى مسـؤوليته الشـخصية، ولا تُحَمَّـل الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة أو إدارة «التقـوى» تَبِعَاتـه.

المحتويات

يونيو 2025 | المجلد 38 | العدد 2

ذو الحجة ومحرم 1446هـ /حزيران - يونيو 2025

2 | **كلمة التقوى**
الحب الحقيقي والتوبة الحقيقية

4 | **في رحاب القرآن**
معيار العقل في ضبط خُلُق الرضا والغضب

8 | **من نسائم الروضة النبوية الشريفة**
الحج المبرور عملية استغفار وتوبة حقيقية

9 | **هكذا تكلم المسيح الموعود**
علاقة التكامل بين الروح والجسد

10 | **حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفَارِ فِي ضَوْءِ مَعَانِي صِفَاتِ اللهِ الْحُسْنَى** خطبة الجمعة ٢٠٢٣/٠٨/٢٥م

22 | **خطبة عيد الاضحى الإلهامية، وشهادة تأييد ربانية للمسيح الموعود** عليه السلام ضحى أحمد

24 | **جانب من حقيقة الإسلام دينا وسلوكا**
فتحي عبد السلام (رحمه الله)

28 | **العبء النفسي جراء الدَّين، والحل الإسلامي للمشكلة من جهتين** أحمد دانيال عارف ود. بلال دار

33 | **خواطر من البقاع المقدسة**
د. أسامة عبد المظيم

التوبة باب شرعه الله تعالى لارتقاء الإنسان في المدارج الروحانية، والحج تمثيل عملي لتلك التوبة، أو كما قال ﷺ: "الحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلَّا الجنَّةُ".

الحب الحقيقي والتوبة الحقيقية

حج بيت الله الحرام، ذلك المشهد المهيب، الذي طالما يتكرر سنويا، إنما يعيد إلى الأذهان أذان الحج الأول الذي صدع به سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، امتثالا للأمر الإلهي: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1]. وعلاوة على الدرس الإبراهيمي الكامن في شعائر الفريضة المعروفة، فالحج ضمن الركائز التي ينبني عليها الدين، بمعنى أن دين المرء لا يكتمل إلا بأدائه، وقول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[2] وإن استثنى العاجزين عن الحج من أدائه، بسبب الفاقة أو الخوف أو المرض، فإنه لم يستثن أحدا مطلقا من أداء الفريضة على المستويين النفسي والروحاني، بحيث يتوجب على كل امرئ مسلم أن يطوف بالبيت الحرام، ولو كانت تفصله عنه أميال وأميال، فالحبيب تطوف روحه حول محبوبه دون أن يأبه بما يفصل بينهما من مسافات. فَوَاهِمٌ من يظن أن موسم الحج مجرد مناسبة تاريخية يُحتفل بها سنويا ثم ينقضي أمرها، بل هو ممارسة يومية واجبة على كل امرئ مسلم، حتى وإن لم يبرح مكانه صوب البقاع المقدسة، ولم يطف بالبيت ولم يسعَ بين الصفا والمروة.

إن مشروع الله عز وجل هو إنتاج المؤمن الحقيقي الكامل، وقصر قيمة الحج ومعناه على الطواف بالجسد فحسب، إنما يفرغ تلك الشعائر المقدسة من مضمونها، الأمر الذي لا يُنتِج غير النفاق والمنافقين، بحيث يتعارض تماما مع هدف المشروع الإلهي الأعظم. وغايته التي نتحدث عنها.

فأي أمر عجيب ذاك الذي يجعل قلوبنا تهفو صوب البلد الحرام، علما أنه كان ولم يزل واديا غير ذي زرع؟!

يجيبنا على هذا التساؤل سيدنا نور الدين القرشي رضي الله عنه الخليفة الأول لسيدنا المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام فيقول في معرض حديثه عن أدائه فريضة الحج: «تعلمت نقطة مهمة جدًّا، فقد أدركت أن الحج يأتي كل عام ويذهب في أيام معدودات، لذا لا يكتسب أحدٌ حُبًّا وتعلقًا حقيقيًّا بهذا المكان. يمكن للمرء أن يستنتج ما مفاده أنه هنا في مكة، يهيم المرء ويغرق في حبّ الله تعالى، وهذا هو الهدف الحقيقي للحج: أن تفنى في محبة الله، أما ما سواه من حب فهو عابرٌ لا طائل منه.»[3]

لقد شرع الله عز وجل فريضة الحج تذكيرا للمؤمنين بقضايا خطيرة، من أبرزها جهاد النفس، وكمسلمين، ما من فريضة إلا ونؤديها امتثالا لأمر الله تعالى واقتداء بسنة سيدنا خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وكشأن كافة الفرائض

«تعلمت نقطة مهمة جدًّا، فقد أدركت أن الحج يأتي كل عام ويذهب في أيام معدودات، لذا لا يكتسب أحدٌ حبًّا وتعلقًا حقيقيًّا بهذا المكان. يمكن للمرء أن يستنتج ما مفاده أنه هنا في مكة، يهيم المرء ويغرق في حبّ الله تعالى، وهذا هو الهدف الحقيقي للحج: أن تفنى في محبة الله، أما ما سواه من حب فهو عابرٌ لا طائل منه»

الإسلامية، نؤدي فريضة الحج تأسيا بذلك الإنسان الكامل ﷺ، فلنر ماذا قال حضرته ﷺ وكيف فعل فيما يتعلق بركن الحج ومناسكه. حتى أن حضرة خاتم النبيين ﷺ عدَّ الحج المبرور جهادا، هذا ما تكشف عنه العديد من الأحاديث النبوية عن تلك الفريضة العظيمة، فعَنْ عَائِشَةَ أُمّ المُؤْمنينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّه، نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟! قَالَ: «لَا، لَكِنَّ أَفْضَلُ الجِهَادِ: حَجٌّ مَبْرُورٌ»[٤]. أوليس عجيبا أن يفوق أداء شعائر الحج منزلة الجهاد؟! بلى، هذا أمر عجاب حقا، ولكن إذا عُرِف السبب بطل العجب، فكل من الحج المبرور والجهاد، يتضمنان كبحا لثوائر النفس وأهوائها، غير أن الحج يتفوق على الجهاد في نقطة الانقطاع التام لله تعالى والهيام في حبه عز وجل. فالحج جهاد بحق، ويزيد على الجهاد بألا مكان فيه لأية مكاسب مادية أو غنائم دنيوية. علما أن المجاهد الحق لا يبغي من جهاده مغنما دنيويا أو عرضا زائلا، حتى وإن حازه فعلا.

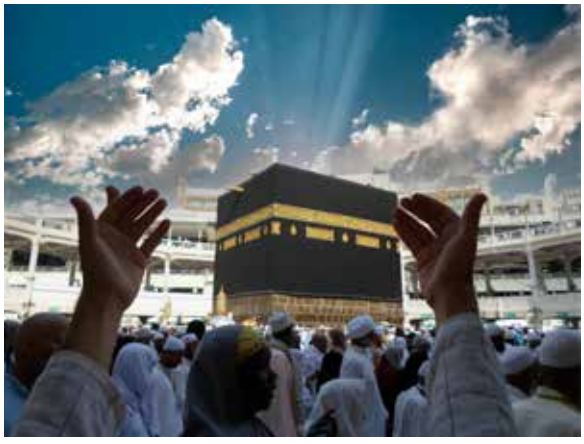

قارئ التقوى العزيز، مع حلول مناسبة حج بيت الله الحرام، يسر أسرة تحرير "التقوى" أن تقدم باقة مقالات متنوعة كما يسرها أن تُطلعك على خطبة جمعة لإمام الوقت سيدنا مرزا مسرور أحمد (أيده الله تعالى بنصره العزيز)، وموضوعها حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ فِي ضَوْءِ مَعَانِي صِفَاتِ اللهِ ﷻ الْحُسْنَى، باعتبار أن الحج عملية إشهار علني للتوبة النصوح بحسب التعليم النبوي: «مَن حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، ولَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَومِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.»[٥]

الهوامش:

١. (الحج: ٢٨)
٢. (آل عمران: ٩٨)
٣. سيد حسنات أحمد، الحكيم نور الدين (خليفة المسيح الأول)، منهاج الصالحين ص ٣١ (النص الأصلي باللغة الأردية)
٤. أخرجه البخاري (١٥٢٠)
٥. أخرجه البخاري (١٥٢١)

معيار العقل في ضبط خُلُق الرضا والغضب

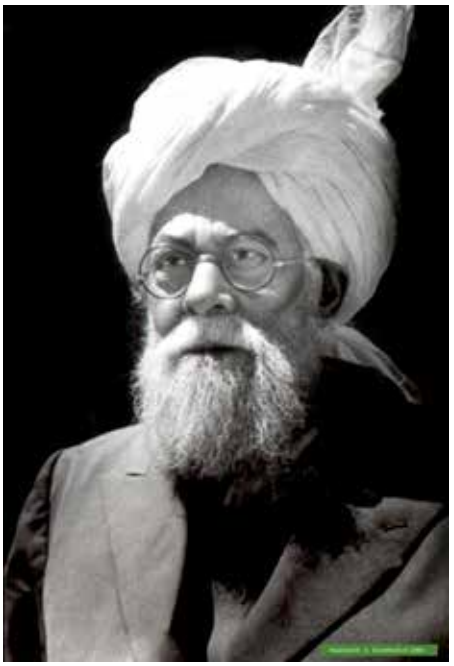

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ
الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٧﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٨﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٥٠﴾ (مريم: ٤٧ إلى ٥٠)

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم ٤٧)

شرح الكلمات:

راغبٌ أنت عن آلهتي: رغِب فيه وإليه: أراده بالحرص عليه وأحبَّه. ورغِب عنه: أعرضَ عنه ولم يُرِدْه (الأقرب).

لأَرْجُمَنّك: رَجَمه: رماه بالحجارة؛ قتَله؛ قذَفه؛ لعَنه؛ شتَمه؛ هجَره؛ طرَده (الأقرب).

مَلِيًّا: المليُّ هو «الطويل من الزمان»، ولكن هذا لا يعني قرنًا أو قرنين من الزمان، إذ يقال «مرَّ مليٌّ من الليل» أي «قطعةٌ منه لم تُحَدّ» (انظر المنجد).

التفسير:

لقد تبين من قول والد إبراهيم عليه السلام هذا أن المرء إذا كان مؤمنًا بما يخالف الحقيقة بناء على ما سمعه من الآباء، ثم خالفه أحد ثارت ثائرته وأبدى الغيرة بشكل مذهل. أما إذا كان مؤمنًا بشيء أو منكرًا له على أساس البرهان والمنطق لكان غضبه وغيرته خاضعًا للدليل والعقل، ولكن إذا لم يكن غضبه مبنيًّا على أساس الدليل والعقل لم يكن سلوكه أيضًا متسمًا بالمنطق والتعقل. خذوا مثلاً نبينا محمدًا ﷺ، فقد جاءه المعارضون وقالوا له إننا نرفض ما تقول. كان أبو جهل من أقاربه ﷺ، ولكنه عارضه بشدة وصار أكبر عدو له. كما كان بين

... فلو شئتَ أطبقتُ عليهم هذا الجبل الذي أمامنا، ودمرّتُهم بزلزال تدميراً. فقال ﷺ: كلا، فإنْ أهلكتَهم فمن يؤمن بي (البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين). ثم دعا ﷺ ربَّه وقال: اللهم اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون. فاصفَحْ عنهم، واغفِرْ لهم خطيئتهم.

أصدقائه ﷺ أيضًا من لم يصدقه. فمثلاً كان حكيم بن حزام صديقًا حميمًا للنبي ﷺ، ولكنه ظل على شركه، ولم يؤمن به إلا بعد فترة طويلة. كان حكيم يحب النبي ﷺ حبًّا جمًّا. وذات مرة سافر إلى الشام* للتجارة، فرأى في السوق عباءة جميلة غالية، فقال في نفسه، رغم كفره بالنبي ﷺ، إن هذه العباءة لا تليق إلا بمحمد (ﷺ). وكان النبي ﷺ إذّاك قد هاجر من مكة إلى المدينة. فرجع حكيم إلى مكة من الشام، ثم سافر من مكة إلى المدينة ليقدّم العباءة هدية للنبي ﷺ. فجاءه وقدّمها له قائلاً: لقد أعجبتني هذه العباءة جدًّا حتى قلت في نفسي إنها لا تليق إلا بك. فقال النبي ﷺ: كم ثمنه؟ قال: أي ثمن؟ إنما هي هدية صديق لصديق. فقال النبي ﷺ: إنني أقدّر صداقتك كل التقدير، ولكني قد أخذت على نفسي عهدًا أني لن أقبل هدية من مشرك أبدًا. فإما أن تأخذها أو تأخذ ثمنها؟ فحزن حكيم حزنًا شديدًا، وقال: لقد اشتريتها لك من أرض بعيدة لأُهديها لك، وأنت لا تقبلها مني، وأنا لا أريد أن يلبسها غيرك. حسنًا، إني آخذ ثمنها ما دمتَ تصرّ على ذلك. فدفع له النبي ﷺ الثمن وأخذ منه العباءة. (مسند أحمد، مسند المكيين رقم الحديث ١٤٧٨٤)

فترى أن النبي ﷺ كان له أيضًا أعداء، بل قد بلغ ببعضهم البغض كل مبلغ. يقول الصحابي عمرو بن العاص إنه كان يكره النبي ﷺ في أيام كفره كراهة شديدة منعته حتى النظر إلى وجهه ﷺ (مسلم: كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله). وبالرغم من هذا البغض الشديد من قبل الكفار لما رُشق النبيّ ﷺ بالأحجار من قبل أهل الطائف لم يغضب ولم يقل بسبب غضبه: لأرجمنّكم أنا أيضًا، بل لما جاءه ﷺ ملاك وقال له لقد بعثني الله إليك لأعذّب هؤلاء القوم إن شئتَ. فلو شئتَ أطبقتُ عليهم هذا الجبل الذي أمامنا، ودمرّتُهم بزلزال تدميراً. فقال ﷺ: كلا، فإنْ أهلكتَهم فمن يؤمن بي (البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين). ثم دعا ﷺ ربَّه وقال: اللهم اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون. فاصفَحْ عنهم، واغفِرْ لهم خطيئتهم.

فبما أن النبي ﷺ كان يملك البرهان والدليل على صحة عقيدته، لذلك إذا غضب على أعدائه غضب بناء على دليل وبرهان، وإذا عفا عنهم فأيضًا على أساس من البرهان

* ورد في المصدر المشار إليه أنه شهد الموسم واشترى الحلة من هناك (التقوى)

والمنطق. وبالمثل كان إبراهيم عليه السلام يملك البرهان على صحة معتقده، فإذا غضب على شيء غضب بناء على البرهان والدليل. ولكن أباه لم يملك أي برهان أو منطق على عقيدته، فكان غضبه أيضًا بلا دليل. إذ لم يقل له إبراهيم عليه السلام إلا إنها، يا أبي، أمور سيئة لا خير فيها ولا جدوى، فلم تصدّق ما لا دليل على صحته؟ عليك أن تصدّق أمرًا من الأمور بعد فحصه ونقده جيدًا. فإنه من الشرك أن يقبل الإنسان ما يقوله صاحبه بدون أن يفحصه وينقده. وكان غاية ما يُتوقع من أبيه هو أن يقول له: كيف تعظني وأنت ابن أمس! ولكنه استشاط غضبًا وأخذ يسبّ إبراهيمَ عليه السلام ويشتمه، ويدعو عليه بالويل والثبور، ويهدده بالقتل والرجم والمقاطعة والطرد من البيت. بيد أنه كان أفضل من مشايخ اليوم، لأنه رغم غيظه الشديد فكّر أنه ابنه، فأمره بأن يغيب عن أنظاره لبعض الوقت حتى لا يصيبه بأذى. أما المشايخ عندنا فإنهم وأتباعهم قد فتّشوا عن الأحمديين وقتلوهم في الفتنة التي اندلعت ضدنا في ١٩٥٣، حتى قالوا من فورة غيظهم لأتباعهم: اختطِفوا نساء الأحمديين أيضًا ولا ذنب عليكم! أما أبو إبراهيم فكان مشركًا حتى نهاه الله عن الدعاء له، ولكن هذا المشرك المستشيط غضبًا يقول لإبراهيم: أنا غضبان الآن، دَعْني وَحْدِي لبعض الوقت حتى لا أؤذيك، وأعودَ إلى صوابي. علمًا أن قوله «واهجُرْني مليًّا» لا يعني أن يهجره لسنين طويلة، بل المراد أن يغيب عن نظره لبعض الوقت حتى تهدأ ثورة غضبه. ذلك لأن لفظ المليّ، كما ذكرنا لدى شرح الكلمات، يعني زمنًا طويلاً وقطعة من الليل أيضًا، حيث يقال «مرَّ مليٌّ من الليل»، وهذا يعني أنه إذا كان الليل اثنتي عشرة ساعة مثلاً ومضتْ منه ستٌّ أو سبع ساعات مثلاً فقد مرَّ مليٌّ منه. فكان أبوه يقصد أن يغيب عن أنظاره لبعض الوقت حتى يزول غضبه.

﴿قالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم ٤٨)

حَفِيًّا: الحفيُّ: العالمُ يتعلم الشيءَ باستقصاء؛ المبالغُ في الإكرام والبرّ، والمُظهِرُ السرورَ والفرَحَ، والمُكثِرُ السؤالَ عن حال الرجل (الأقرب).

التفسير:

لما رأى إبراهيم عليه السلام غيظ أبيه قال له إنك تثور غضبًا عليّ لأني لا أؤمن بآلهتك الباطلة، أما أنا بالرغم أنك لا تؤمن بربي الذي هو الإله الحق فإني لا أقول إلا أن يرحمك الله. إنك تريد رشقي وقتلي وقذفي بين القوم، وتود أن تسبني وتلعنني وتقاطعني وتطردني من البيت، لأني لا أؤمن بآلهتك الباطلة، أما أنا فأدعو الله تعالى أن يشملك برحمته الواسعة رغم أنك تكفر بربي الذي هو الإله الحق. لا شك أنك على الخطأ، ولكن ربي قادر على أن يغفر لك زلّتك، لذلك سأتوسل إليه عز وجل بالمغفرة لك.

ثم قال ﴿إنه كان بي حفيًّا﴾.. أي أن ربي يغمرني بالحفاوة والإكرام، ويفرح على نجاحي فرحًا عظيمًا، ويعتني بي جدًّا، ويحزن لحزني بشدة. وعندما أنظر إلى ربي المحسن يمتلئ قلبي حبًّا له، أقول في نفسي: هناك نموذج مصغَّر لهذا الحب والحنان في أبي وأمي أيضًا؛ فمن واجبي أن أحبهما وأعاملهما بالبر والإكرام. وكأن إبراهيم عليه السلام يقول: ليس مصدر حبي لله تعالى أن والديّ يحباني ويحسنان إليّ، بل الحق أني حين أشاهد أن ربي يخصني بهذا الحب الجم ويتولى حاجاتي بهذا الشكل المدهش، أفكر أن هناك نموذجًا لهذا الحب والحنان في والديّ أيضًا، فمن مقتضى حبي لله تعالى أن أحبهما أيضًا.

فما أرفعَ المكانةَ التي تبوأها إبراهيم عليه السلام في الورع

إنني لا أحب الله تعالى نتيجة حبي لوالديّ، بل إن الألطاف الإلهية هي التي تحفّزني على أن أحبّ والديّ أيضًا. فإني حين أشاهد الحب واللطف والإكرام الذي يغمرني به محسني وربي أقول في نفسي هناك نموذج لهذه الرحمة الإلهية في والديّ أيضًا، فمن واجبي أن أحبهما وأحسن إليهما. وهذا ما يدفعني لإكرامك وإجلالك يا أبي. وإني أدعو ربي أن يغفر لك خطيئتك، ويرحمك.

والتقوى. فمن الناس من يعمل الصالحات بالنظر إلى من هو دونَ، ومنهم من يعملها نظرًا إلى من هو أعلى؛ وكان إبراهيم من الفئة الأخيرة، حيث يقول إنني لا أحب الله تعالى نتيجة حبي لوالديّ، بل إن الألطاف الإلهية هي التي تحفّزني على أن أحبّ والديّ أيضًا. فإني حين أشاهد الحب واللطف والإكرام الذي يغمرني به محسني وربي أقول في نفسي هناك نموذج لهذه الرحمة الإلهية في والديّ أيضًا، فمن واجبي أن أحبهما وأحسن إليهما. وهذا ما يدفعني لإكرامك وإجلالك يا أبي. وإني أدعو ربي أن يغفر لك خطيئتك، ويرحمك.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (مريم ٤٩)

التفسير:

فلما قال له أبوه اترُكْني وشأني، قال: حسنًا، فإني أنا الآخر لا أستطيع العيش معكم. تريدون أن تعبدوا الأصنام، وأنا أريد أن أعبد ربي. تسخطون على عبادة رب واحد، وأنا لا أرضى بعبادة الأصنام. فها أنا أعتزلكم.

علمًا أن قوله ﴿أعتزلكم وما تَدْعون من دون الله﴾ لا يعني أنه أعلن اعتزاله عبادة أصنامهم في ذلك اليوم، فهو لم يكن يعبدها من قبل، وإنما المعنى أنه سيتركهم في ديارهم مع أصنامهم. ﴿وأدعو ربي﴾ .. أي سأذهب إلى حيث لا يُرى إلا الله تعالى.

ثم قال ﴿عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيًّا﴾.. أي رغم أن هذه الهجرة ستكون بمثابة موتي في الظاهر، حيث أضطر لترك وطني وقومي وعشيرتي ومعارفي وأصدقائي، إلا أنني حين أدعو ربي الذي يحبني فسأنال بُغيتي؛ فيتيسر لي ثانيةً الأصدقاء والزملاء والمواسون والقوم أيضًا.

﴿فلمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (مريم ٥٠)

التفسير:

أي أن إبراهيم عليه السلام لما ترك قومه وما يعبدون من دون الله تعالى آتاه الله إسحاق ويعقوب.

أما قول الله تعالى ﴿وكلاً جعلنا نبيًّا﴾ فاعلم أن لفظ ﴿كُلاً﴾ يأتي للاثنين أيضًا، كما ورد هنا وفي مواضع أخرى أيضًا من القرآن الكريم. والمراد من ﴿كلاً﴾ هنا إسحاق ويعقوب دون إبراهيم – عليهم السلام – إذ صار إبراهيم نبيًّا من قبل هذا الكلام. (يُتبع)

مِن نَسَائِمِ الرَّوْضَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ

الحج المبرور عملية استغفار وتوبة حقيقية

عن أبي هريرة ﷺ قال: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: "مَن حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، ولَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَومِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ." (صحيح البخاري ، كتاب الحج)

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "العُمرةُ إلى العُمرةِ كفَّارةُ ما بيْنَهما والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلَّا الجنَّةُ." (صحيح البخاري ، كتاب الحج)

خَطَبَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ يوم حجة الوداع فَقالَ: "ألَا تَدْرُونَ أيُّ يَومٍ هذا؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، فَقالَ: أليسَ بيَومِ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: أيُّ بَلَدٍ هذا؟ أليسَتْ بالبَلْدَةِ الحَرَامِ؟ قُلْنَا: بَلَى يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: فإنَّ دِمَاءَكُمْ، وأَمْوَالَكُمْ، وأَعْرَاضَكُمْ، وأَبْشَارَكُمْ، عليْكُم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، ألَا هلْ بَلَّغْتُ، قُلْنَا: نَعَمْ، قالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ." (صحيح البخاري كتاب الحج)

عنْ حَبِيب بْن أَبِي عَمْرَةَ قَالَ: حَدَّثَتْنَا عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ، يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَغْزُو وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟ فَقَالَ: لَكِنَّ أَحْسَنَ الْجِهَادِ وَأَجْمَلَهُ الْحَجُّ، حَجٌّ مَبْرُورٌ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَا أَدَعُ الْحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. (صحيح البخاري، كتاب الحج)

عنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ فَرِيضَةَ الله عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ قَالَ: نَعَمْ. (صحيح البخاري، كتاب الحج)

هكذا تكلم المسيح الموعود

علاقة التكامل بين الروح والجسد

... إننا لا نستطيع أن نتصور مطلقا كيف تبقى الروح على حالتها الكاملة إذا حُرمت تماما من علاقتها بجسد ما.. مع أنها –على ما نعلم عنها– تضطرب عند كل خلل ولو بسيط يطرأ على الجسد. أفلا توضّح لنا التجارب اليومية أن أن صحة الجسم ضرورية لصحة الروح؟ عندما يصبح الإنسان شيخا فانيا.. تشيخ روحه أيضا وتهرم.. ويختلس سارقُ الشيخوخة منه بضاعةَ علمه.. كما يقول الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (الحج: ٦).. أي عندما يصير الإنسان شيخا هرِمًا يبدو – رغم دراسته وقراءته – كأنه صار جاهلا.

لذلك فمشاهدتنا تشكل دليلا قاطعا على أن الروح لا شيء بدون الجسم. ثم إنَّه لمن الأمور التي تهدي الإنسان إلى الحقيقة أنه إذا كانت الروح تستطيع القيام بذاتها بشكل مستقل عن الجسد فلماذا ربطها الله تعالى بالجسد الفاني عبثا دونما سبب؟

وجدير بالاعتبار أن الله خلق البشر لرقي غير محدود، فما دام الإنسان لا يستطيع أن يحرز رقيًّا في هذه الحياة القصيرة بغير معونة الجسم.. فكيف يُتصور أنه سيتمكن من إحراز تلك الترقيات التي لا نهاية لها بغير مرافقة الجسم؟

إذن فإن هذه الأدلة كلها تبين – وفقًا للتعليم الإسلامي – أنه لا بد للروح من مصاحبة جسم على الدوام لأداء واجباتها حق الأداء. صحيح أن هذا الجسم الفاني يفارق الروح عند الموت.. ولكنها في عالم البرزخ تُعَوضُ عنه بجسم آخر.. لتذوق به جزاءَ أعمالها إلى حد ما. ولا يكون ذلك الجسم من نوع هذه الأجسام.. وإنما يتكون من ظلمةٍ أو من نورٍ، بحسب نوعية أعمال الإنسان في هذه الدنيا، وكأن أعمال الإنسان هي التي تقوم مقام الأجسام في ذلك العالم. هكذا جاء في كلام الله مرارا وتكرارا حيث اعتبر بعض هذه الأجسام نورانية وبعضها ظلامية، تكتسب نورها أو ظلمتها من الأعمال.

إن هذا السر، وإنْ كان في غاية العمق، إلا أنه ليس مما يرفضه العقل. فيمكن للإنسان الكامل أن ينال في نفس هذه الحياة كيانا نورانيًا غيرَ هذا الكيان الجسماني. وفي عالم الكشوف أمثلة كثيرة من هذا القبيل. إنه من الصعب إيضاح هذا الأمر لذي عقل محدود؛ ولكن الذي نال نصيبا من عالم الكشف لن ينظر إلى حقيقةِ تكوُّنِ جسمٍ من الأعمال نظرةَ استبعادٍ وعجبٍ، بل سوف يجد فيه متعة ولذة. (كتاب فلسفة تعاليم الإسلام ص ١٣٤ و١٣٥)

حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفَارِ
فِي ضَوْءِ مَعَانِي صِفَاتِ اللهِ الحُسْنَى

خطبة الجمعة التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٣/٠٨/٢٥م

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

التوبة الصادقة.. شروطها وعلامتها

إن الله تعالى يقبل من عبده الاستغفارَ والتوبة بشرط أن تكون توبة نَصُوحًا، فلا تكون مجرد ترديد باللسان فقط. وقد ذكر الله في العديد من آيات القرآن الكريم أنه يُكرم التوابين الصادقين بمال وأولاد، وأن تلك التوبة وسيلة لاتقاء عذاب الله، وأن المستغفِر يجذب رحمة الله تعالى. فقد قال الله في آية مبشّرًا المستغفرين أنهم لو استغفروا﴿... لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا.﴾[١] بشرط أن يكون الاستغفار والتوبة حقيقيَّين، فقد ورد في حديث عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب».[٢] (أي لا تقدر دواعي الذنب على أن تُميله إلى السيئة، ويحفظه الله من عواقبها) ثم تلا: ﴿...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [٣]، قيل: يا رسول الله وما علامته؟ أي كيف نعرف أن توبته صحيحة؟ قال: الندامة[٤].

فإذا كان التائب الصادق يتخلص من الذنوب بإظهار الندم الحقيقي ففي الوقت نفسه يفوز بحب الله أيضا، ويجد

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»

نصيبا من رحمته المستمرة.

لقد ذكر سيدنا المسيح الموعود عليه السلام شروط التوبة الصادقة في موضع، فقال:

الشرط الأول للتوبة هو أن يقلع المرء عن الأفكار الفاسدة والتصورات السيئة. (أي أن يتخلى نهائيا عن الأفكار التي يمكن أن تعد سببا للملذات السيئة. وهذا جهاد عظيم يجب على المرء أن يقوم به، عندها سيخطو إلى التوبة).

والشرط الثاني هو أن يُظهر الندم الحقيقي. عليه أن يفكر أن هذه اللذات والحظوظ المادية مؤقتة، وهي تنقص كل يوم مع انقضاء العمر، فلماذا إذن يتمسك بها؟ فالسعيد من يدرك هذه الحقيقة ويتوب، ويبدي الندامة الحقيقية، وهي التي ذكرها النبي ﷺ.

والشرط الثالث هو أن يعقد المرء العزم على ألا يقرب تلك السيئات أبدا. (وليس ذلك فحسب، أي لا يكفيه التصميم والعزم على عدم الاقتراب من الذنوب)، بل يجب أن تحلّ محلّها الأخلاقُ الحسنة والأفعال الحميدة. فهذه هي التوبة الصادقة والندامة الحقيقية، وإذا تحققت للإنسان هذه الحال فإن الله ﷻ يحبه. لقد لفت سيدنا المسيح الموعود عليه السلام انتباهنا إلى الاستغفار والتوبة مرارا وتكرارا. ومعلوم أن الإنسان عُرضة للوقوع في الأخطاء، وإذا تكرر وقوعه فيها مرارا فإنها تورّطه في ذنب تلو ذنب، لذا يجب أن نسعى جاهدين كل حين وآن لتطهير قلوبنا مستغفرين الله ومنيبين إليه، ويجب أن نحرص أشد الحرص على ألا نفرّط أبدا في حقِّ الله وحقوق العباد أبدا.

لقد نصح سيدُنا المسيح الموعود عليه السلام الجماعةَ بمواصلة الاستغفار، إذ كان ذلك الأمر يشغل بالَه كثيرا، حتى إنه عليه السلام لم يكن ليفوّت أي فرصة سانحة للفت أنظار الجماعة إلى هذا الأمر، فكان دائم الحضِّ لهم على الاستغفار، سواء في مجالسه أو من خلال كتاباته. فمن الواجب علينا أن نضع في الحسبان دوما أقوال سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام التي بينها في ضوء تعاليم الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، ونسعى للعمل بها، لكي نتمكن من أداء حق البيعة. وإن لم نخلق في نفوسنا تغييرا طيبا، ولم نلتفت إلى التوبة والاستغفار الحقيقيَين، فلن ينفعنا مطلقا تعهُّدُنا بأننا سنصلح أنفسنا.

جوهر الاستغفار الحقيقي

لقد تكلم سيدنا المسيح الموعود عليه السلام كثيرا عن التوبة. وأقدّم لكم بعض المقتبسات من كلامه، فقد تناول بيان فائدة الاستغفار قائلا:

"اعلموا أن هذه الأمة قد أُعطيتْ شيئين، أحدهما

لاكتساب القوّة؛ وثانيهما من أجل تسخير هذه القوة المكتسبة في العمل. والاستغفار هو لاكتساب القوّة، ويُسمّى أيضا الاستمداد والاستعانة. قال الصوفية: كما أن الرياضة من حمل أثقال وغير ذلك تزيد الجسد قوّة وطاقة، كذلك فإن الاستغفار هو رياضة حمل الأثقال الروحانية، التي تُكسب الروح قوة، والقلبَ استقامة. فمن أراد القوة فعليه بالاستغفار."

والغَفْر هو التغطية والكبت، فبالاستغفار يحاول الإنسان كبت جماح أهوائه وتغطية أفكاره التي تحول دون وصوله إلى الله تعالى. إنما يعني الاستغفار أن يتغلّب الإنسان على ما فيه من مواد سامّة تريد مهاجمته وإبادته، وأن يعمل بأحكام الله تعالى، متجنبًا العقبات التي تحول دون ذلك.

واعلموا أيضا أنّ الله تعالى قد خلق في الإنسان نوعين من الموادّ، الأول: المادة السّامة التي وُكّل إليها الشيطان، والثاني المادة التي فيها الترياق والشفاء. عندما يصاب الإنسان بالكبرياء والاعتداد بالنفس، ولا يسعى لورود النبع الذي فيه شفاء وترياق، تتغلب عليه القوة السامّة الموجودة فيه، ولكنه حين يعُدّ نفسه ذليلا وحقيرا ويشعر في داخله بحاجة إلى عون الله تعالى، يخلق الله له نبعًا، فتذوب فيه روحه وتنساب، وهذا هو معنى الاستغفار، أي أن ينال المستغفِر هذه القوّة، فيتغلّب على ما فيه من مادة سّامة. (وهذا هو الاستغفار الحقيقي).

خلاصة الكلام: داوِموا على العبادة كالآتي: أولاً: أطيعوا الرسول، وثانيا: استعينوا بالله دومًا. أجلْ! اسألوا ربكم أن يهب لكم القوة، وإذا نلتم منه القوة فـ ﴿تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي ارجعوا إلى الله. فالاستعانة بالله أيضا تقتضي أن ندعوه.

ثم قال حضرته:

معلوم أن الإنسان ضعيف جدا بطبيعته وقد كلِّف بمئات الأوامر من الله تعالى. فمن طبيعته أنه يمكن أن يعجز عن العمل ببعض الأوامر بسبب ضعفه، (فمن الطبيعي ألا يقدر على العمل بكل هذه الأحكام الكثيرة) وتغلبه أحيانا بعض رغبات النفس الأمارة. فهو بحاجة، بسبب ضعفه الطبعي، إلى أن يُلقى إليه طوق رحمة الله فينجو من الهلاك نتيجة التوبة والاستغفار عند صدور زلة منه. (وينبغي أن تكون توبته صادقة، فالضعف الذي فُطر عليه الإنسان يجعله يستحق أن يقبل الله توبته الحقيقية، وينجيه) فمن المؤكد أنه لو لم يكن الله تعالى قابل التوبة لما أثقل الإنسانَ بعبء مئات الأوامر قط. من هنا يتبين دون أدنى شك أن الله تواب وغفور. ومعنى التوبة أن يترك الإنسان سيئة مُقرًّا بأنه لن يعود إليها أبدا وإن أُلقي في النار. (فالشرط أن تكون التوبة من هذا القبيل) فعندما يتوب الإنسان إلى الله تعالى بهذا الصدق والعزم الصميم عن ذنبٍ ما، يرفع الله الكريم والرحيم عنه عقوبة ذلك الذنب. ومن صفات الله العليا أنه بقبول التوبة ينقذ من الهلاك. ولو لم يتوقع الإنسان قبول التوبة لما ارتدع عن ارتكاب الذنوب قط. (أي إذا لم يكن له أملٌ مطلقا في قبول التوبة فسوف يستمر في ارتكاب الذنوب. كثيرون يسألون إذا كنا سنواجه مصيرا معينا حتما فما الفائدة؟ كلا، إذا تابوا قبل مواجهة المصير فإن الله ينقذهم) الديانة المسيحية أيضا تقول بقبول التوبة ولكن بشرط أن يكون التائب مسيحيا. ولكن الإسلام لا يجعل قبول التوبة مشروطا بأي دين، ويقول بأن التوبة تُقبل بالالتزام بأيّ دين كان. ولا يبقى له ذنب إلا إنكاره لكتاب الله ورسوله. ومستحيل تماما أن ينال الإنسان النجاةَ بأعماله فقط، بل من منة الله أنه يقبل توبة امرئٍ ويعطي آخر بفضله قوةً فيجتنب ارتكاب الذنب.

في أحد المجالس سأل واحد من الحضور سيدنا المسيح

"اعلموا أن هذه الأمة قد أُعطيتْ شيئين، أحدهما لاكتساب القوّة؛ وثانيهما من أجل تسخير هذه القوة المكتسبة في العمل. والاستغفار هو لاكتساب القوّة، ويُسمّى أيضا الاستمداد والاستعانة. قال الصوفية: كما أن الرياضة من حمل أثقال وغير ذلك تزيد الجسد قوّة وطاقة، كذلك فإن الاستغفار هو رياضة حمل الأثقال الروحانية، التي تُكسب الروح قوة، والقلبَ استقامة. فمن أراد القوة فعليه بالاستغفار."

الموعود: ما هو الورد الذي يجب أن أردده؟ فقال عليه السلام: أَكثِرْ من الاستغفار، فللإنسان حالتان: إما أن لا يرتكب الإثم، أو أن يحميه الله من شرّ عواقب إثمه، وعليه أن يضع في البال كلا المعنيين عند الاستغفار، (أي ألا يرتكب الإثم وألا تظهر لذلك الإثم إذا ما اُرتُكب عواقب سيئة) فيسأل الله غفران ذنوبه السابقة، كما يسأله التوفيق لاجتناب الآثام في المستقبل. (أي ينبغي أن يستغفر واضعا هذا الشيء في الحسبان) لكن لا يكفي الاستغفار باللسان فقط، بل يجب أن ينبع من القلب. وادعُ الله في الصلاة بلغتك أيضا، فهذا ضروري.(٥)

فمجرد ترديد الاستغفار باللسان أو إرسال أحد رسالة بأنني أستغفر الله ربي، ولن أرتكب مثل هذه الأخطاء في المستقبل، لن يجدي نفعا، ما لم يسعَ ليُثبت عمليا أنه لن يعود إلى تلك الأخطاء التي قد ارتكبها. قال المسيح الموعود عليه السلام في مناسبة وهو يُبين معنى الاستغفار:

«معنى الاستغفار هو ألا يصدر أي ذنب في الظاهر، وألا تظهر نوازع ارتكاب الذنوب. إنّ حقيقة استغفار الأنبياء هي أنهم معصومون أصلا ولكنهم يستغفرون كيلا تظهر تلك النوازع في المستقبل. أما بحق عامة الناس فيُستنتَج منه معنى آخر أيضا وهو أن ينقذهم الله من نتائج سيئة لجرائم وذنوب صدرت منهم سابقا، وأن يغفرها لهم ويحميهم من صدورها في المستقبل.

على أية حال، يجب على الإنسان أن يستمر في الاستغفار. البلايا المتنوعة التي تُمنَى بها الدنيا مثل القحط وغيره يكون المراد منها أن ينصرف الناس إلى الاستغفار. (في هذه الأيام قد نشبت حروب كثيرة ففي مثل هذه الظروف على الأحمديين أن يُكثروا من الاستغفار لحماية أنفسهم ولحماية الدنيا أيضا). قال عليه السلام: ولكن ليس المراد منه أن يردد المرء: «أستغفر الله، أستغفر الله» باللسان فقط، بل الحق أن حقيقة الاستغفار ظلت خافية على الناس في الهند لكون العبارة بلغة غير لغتهم. كان العرب يفهمون هذه الأمور جيدا، أما في بلادنا فقد بقيت كثير من الحقائق خافية بسبب الجهل بالعربية. هناك كثيرون يقولون إننا استغفرنا كذا وكذا مرة، وسبّحنا مائة مرة أو ألف مرة ولكن لو سألتَهم عن المراد من الاستغفار أو معناه لحاروا حيرة ما بعدها حيرة. على الإنسان أن يظل يستغفر في قلبه بصورة حقيقية كيلا يواجه مغبَّة ما بدر منه من المعاصي والجرائم، وليستعن بالله في قلبه كل حين ليوفقه للأعمال الصالحة في المستقبل وينقذه من المعصية.

اعلموا جيدا أن الكلمات وحدها لا تُجدي نفعًا. يمكنكم

الاستغفار بلغتكم أيضا ليغفر الله لكم ما سلف من ذنوبكم ويقيكم ما قد تقعون فيه مستقبلا ويوفقكم للحسنات، هذا هو الاستغفار الحقيقي، ولا حاجة للإنسان إلى أن يردد: «أستغفر الله، أستغفر الله» بلسانه بينما قلبه سادر في غفلته. اعلموا أنه لا يصل إلى الله إلا ما يصدر من القلب، لذا يجب أن تدعوا بلغتكم كثيرا لأن ذلك يؤثر في القلب. لا شك أن اللسان شاهد على ما في القلب فقط ولكن إذا نشأ الحماس في القلب ورافقه اللسان أيضا فبها ونِعْمَتْ! وإلا فمجرد ترديد الأدعية باللسان فقط دون مرافقة القلب عبث لأن الدعاء الحقيقي هو ما ينبع من القلب. إذا استمر الإنسانُ في الدعاء في قلبه قبل حلول البلاء واستغفر الله لوجده رحيما وكريما ولرفع عنه ذلك البلاء. ولكن إذا نزل البلاء فلا يزول. لذا يجب أن يستمر المرء في الدعاء ويستغفر كثيرا قبل حلوله، فهكذا يحمي الله تعالى عبده المستغفر عند البلاء.

نجاتكم في تميُّزِكم

قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: يجب على أفراد جماعتنا أن يصدر منهم ما يميزهم عن غيرهم. فإذا بايع أحد ولم يعمل ما يميزه، وكان يعامل زوجته كما كان يعاملها من قبل، ويعامل عياله وأطفاله كما سبق، فهذا ليس جيدا. فإذا بقي سوء الخلق وسوء السلوك السابق جاريا بعد البيعة أيضا وبقي الحال كما كانت عليه قبلها فما الفائدة من البيعة؟ يجب على المبايع أن يكون نموذجا للأغيار ولأقاربه وجيرانه حتى يقولوا عفويا أنه لم يعُد كما كان من قبلُ. (وهذا ما يجب أن تكون نتيجة الاستغفار)

اعلموا جيدا أنكم إذا عملتم بإمحاض القلب لأثرت هيبتكم في الآخرين حتما. كم كانت هيبة النبي ﷺ عظيمة! ذات مرة ظنّ الكفار أنه ﷺ سيدعو عليهم، فجاؤوه أجمعين والتمسوا منه ألا يدعو عليهم. لا شك أن للصادق هيبته حتما. يجب أن يكون العمل بكل صفاء ونزاهة ولوجه الله فقط عندها سيقع تأثيركم ورُعبكم في الآخرين حتما.[٦]

ثم قال عليه السلام في مناسبة:

إن خشية الله وتقواه أمر عظيم، فبسببها يعصم الله الإنسان من آلاف الآفات. لا يستطيع أحد القول بأنه لن تصيبه أية آفة، إلا أن تشمله رحمة الله، فلا يطمئنَّ أحد. فالآفات تحل بغتة، فمن ذا الذي يعرف ماذا سيحدث ليلا؟ لقد ورد أن النبي ﷺ ذات يوم قام وبكى كثيرا، ثم خطب في الناس وقال: يا عباد الله اتقوا الله. فالآفات والبلايا تلتصق بالمرء كالنمل، فلا سبيل للتخلص منها سوى الانصراف إلى الاستغفار والتوبة بصدق القلب.

ثم قال عليه السلام: "إنما يعني الاستغفار أن يطلب المرء من الله الحماية من عقوبة الجرائم السابقة والمعاصي، وأن يسأله العصمة من ارتكاب الذنوب في المستقبل. كان الأنبياء أيضًا يستغفرون فينبغي هذا على العوام أيضًا."

دحض شبهة القساوسة في استغفار النبي ﷺ

اعترض بعض القساوسة الأغبياء على استغفار النبي ﷺ زاعمين أن استغفاره يعني ضِمْنًا أنه كان مذنبا، والعياذ بالله، لكن هؤلاء السفهاء لا يعرفون أن الاستغفار خصلة سامية، فقد خُلق الإنسان ضعيفا، والضعف من فطرته. والأنبياء يعرفون جيدا هذا الضعف البشري الفطري، لذا يدعون الله قائلين: ربنا احفظنا من ظهور الضعف البشري.

فالغفر هو الستر، الأصل أن القدرة التي يتصف بها الله سبحانه وتعالى لا يتمتع بها أي نبي أو ولي أو رسول، فلا أحد يستطيع الادعاء أنه قادر على اجتناب الذنب بقوته، فالأنبياء أيضًا

اعلموا جيدا أنكم إذا عملتم بإمحاض القلب لأثرت هيبتكم في الآخرين حتما. كم كانت هيبة النبي ﷺ عظيمة! ذات مرة ظنّ الكفار أنه ﷺ سيدعو عليهم، فجاؤوه أجمعين والتمسوا منه ألا يدعو عليهم. لا شك أن للصادق هيبته حتما. يجب أن يكون العمل بكل صفاء ونزاهة ولوجه الله فقط عندها سيقع تأثيركم ورُعبكم في الآخرين حتما.

محتاجون إلى الله لحمايتهم، فلإظهار العبودية كان النبي ﷺ أيضًا يسأل الله حمايته كالأنبياء الآخرين.

فزعم هؤلاء (أي المسيحيين) باطل بقولهم أن عيسى عليه السلام لم يكن من المستغفرين، (أي من الخطأ الظن بأن عيسى عليه السلام لم يكن يستغفر) فهذا محض سفهٍ وسوء فهم، بل فيه اتهام ضمني لعيسى عليه السلام. إذ بالتدبر في الإنجيل يتبين جليا أنه اعترف كثيرا بضعفه واستغفر. فما معنى صراخه «إيلي، إيلي، لما شبقتني؟»[٧] ؟ فلمَ لم يقل: أبي، أبي. فـ «إيل» في اللغة العبرية تعني إله، وإنما تعني هذه الجملة: ارحمني يا رب، وأنزل علي فضلك، ولا تخذلني، أي احفظني.

إنما المشكلة في الحقيقة أن الناس في الهند قد أضاعوا الهدف المنشود من الاستغفار بسبب اختلاف اللغة، حيث حسبوا هذه الأدعية تراتيل سحرية، سواء أكانت الصلاة أم الاستغفار والتوبة. إذا نصحنا أحدا بالاستغفار لأجاب أنه يستغفر مائة أو مائتي مرة في اليوم، فإذا سألتموه ما معناه، فستجدونه يجهله تماما. فالاستغفار كلمة عربية، ومعناها طلب المغفرة، ومعنى استغفار المرء أن يدعو الله قائلا: يا إلهنا، نعوذ بك من النتائج السيئة لما ارتكبنا من الذنوب في الماضي لأن الذنب سمٌّ ساري المفعول حتما. واحفظنا في المستقبل بحيث لا يصدر منا الذنب. أما الترديد باللسان فقط، فلا يُجدي أي نفع.[٨]

معنى التوبة أن يتخلى المرء عن السيئة ندما، فالتوبة ليست عملا سيئا، بل قد ورد أن التائب محبب إلى الله كثيرا، واسم الله أيضًا «التواب»، ومعناه أن الإنسان حين يندم على ذنوبه وأفعاله السيئة، ويتعهد باجتنابها في المستقبل، فإن الله أيضًا يتوب عليه برحمته، فالله ﷻ يتوب على الإنسان أكثر من توبة الإنسان إليه، فقد ورد في الحديث القدسي فيما رواه النبي ﷺ عن ربه: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[٩]. أي إذا توجه الإنسان إلى الله، فإن الله هو الآخر يُنزل عليه رحمة وفضلا ومغفرة دون حساب، أما إذا قعد الإنسان معرضا عن الله فكيف يعبأ الله به؟!

معنى التوبة في ضوء اسمَي «الحي» و«القيوم»

قال عليه السلام مبيّنا حقيقة التوبة: ليكن معلوما أن القرآن الكريم قد ذكر لله تعالى اسمين اثنين وهما: الحيّ والقيوم. المراد من الحي الذي هو حيٌّ بنفسه، ويهب الحياة للآخرين. ومعنى القيوم هو الذي قائم بذاته، وسبب لقيام الآخرين. إن بقاء كل شيء بقاءً ظاهريًّا وباطنيًّا وحياته إنما هي ببركة هاتين الصفتين. إن صفة «الحي» تقتضي أن يُعبد الله وحده كما أن مظهره في سورة الفاتحة هو «إياك نعبد». وصفة القيوم تقتضي أن يُطلب السند منه، وقد ذُكر هذا المفهوم بجملة:

«إياك نستعين».

إن صفة «الحي القيوم» تقتضي العبادة لأنه خَلَقَ المخلوقات ولم يتخل عنها بعد خلقها. فمثلا إذا مات البنّاء بعد بنائه البناية لا تتضرر البناية بموته. ولكن الإنسان يبقى محتاجا إلى الله تعالى في كل الأحوال، فصار ضروريا أن يستمر الإنسان في طلب المدد من الله تعالى، وهذا هو الاستغفار. ثم وُسِّعت دائرة الاستغفار أكثر ليُنقَذ مرتكبو الذنوب من نتائجها السيئة. وإن لم يرتكب المرء الذنبَ فمع ذلك هو بحاجة إلى الاستغفار للبقاء على قيد الحياة وللبقاء في ملاذ الله. ولكن الأصل في الموضوع هو الانقاذ من التقصيرات البشرية. فمن لا يرى حاجة إلى الاستغفار مع كونه بشرا فهو سيئ الأدب وملحد.

وقد ذكر عليه السلام حقيقة الاستغفار في مكان آخر كما يلي: «الذنب دودة تسري في دم الإنسان، وليس له العلاج سوى الاستغفار فقط. فما هو الاستغفار يا ترى؟ ألا إنه أن يسأل المرءُ اللهَ حفْظَه من العواقب الوخيمة للذنوب التي صدرت منه. وألا تصدر منه تلك التي يقدر على ارتكابها ولم يرتكبها بعد، وأن تحترق وتتلاشى في الداخل.

الأوضاع الراهنة مخيفة جدًّا، لذا داوموا على التوبة والاستغفار، وافحصوا أنفسكم، فأتباع كل دين وملة وأهل الكتاب يؤمنون بأن الصدقة تكون سببا في رفع العذاب، شريطة أن تكون قبل نزوله، لكن إذا نزل العذاب فلا يزول، فمن الآن استغفروا وتوبوا، لكي يحفظكم الله ولا يأتي دوركم».

إذن، يجب أن نكثر من الاستغفار، كما قلت من قبل أيضا، نظرا إلى الظروف الحالية السائدة في العالم لينقذنا الله تعالى من كل شر وآفة.

التوبة وارتقاء الإنسان

في معرض شرح المسيح الموعود عليه السلام حقيقة التوبة، قال حضرته: "ليكن معلوما أن إنكار التوبة والمغفرة إنما هو سدٌّ لباب ارتقاء الإنسان. لأنه من الواضح ومن البديهيات لدى الجميع أن الإنسان ليس كاملا في حد ذاته، بل هو بحاجة إلى التكميل، وكما أنه يولد ظاهريا ويوسّع دائرة معلوماته رويدا رويدا ولا يولَد عالمًا، كذلك عندما يبلغ سن المراهقة بعد الولادة تكون حاله الأخلاقية منحطة جدا. فمثلا لو تأمل أحدكم أحوال الأطفال الصغار لرأى أن أكثرهم لا يتورعون عن إيذاء زملائهم لأتفه الأسباب، كما تُلاحَظ في كثير منهم عادة الكذب وسباب الأطفال الآخرين أيضا. ويكون بعضهم متعودا على السرقة والنميمة والحسد والعناد. ثم عندما يهيج جنون الشباب تسيطر عليهم النفس الأمارة وتصدر منهم أمور غير لائقة يأنف المرء من ذِكرها إذ تدخل في الفسق والفجور الصريح."

ملخص الكلام.. إن المرحلة الأولى لمعظم الناس هي مرحلة حياة قذرة. (إذ تتسبب في قذارتهم تلك الظروف البيئية والاجتماعية المحيطة بهم) ثم عندما يخرج الإنسان السعيد من طوفان أوائل العمر العارم يتوجه إلى ربه (أي عندما يرى الإنسان السعيد طوفان القذارة منتشرة في العالم يتوجه إلى الله تعالى) ويتوب توبة نصوحا ويتحاشى أمورا غير لائقة ويعكف على تطهير نفسه. هذه هي بوجه عام مراحل حياة الإنسان التي يتحتّم عليه اجتيازها. يتضح من ذلك أنه لو كان صحيحا أن التوبة لا تُقبل، لثبت من ذلك أن الله لا يريد أصلا أن يهب النجاة لأحد»

ثم قال حضرته عليه السلام في مجلس حين بايعه بعض الإخوة فقال لهم حضرته ناصحا: «إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يتوب الإنسان توبة نصوحا ويدعو أن لا يصدر منه الذنبُ، وألا

يواجه الخزي في الدنيا والآخرة.

ما دام الإنسان لا يتكلم بوعي ولا يكون فيه تذلل، فلا يصل كلامه إلى الله. لقد كتب الصوفية أنه إذا مضت أربعون يوما دون أن يبكي الإنسان بين يدي الله يقسو قلبه، فالبكاء يُكفِّر عن قسوة القلب، وله دوافع وأسباب، فعلى الإنسان أن ينظر ما الذي صنع وأنجز، وما حال عمره، ولينظر إلى الذين مضوا قبله، عندها يخاف قلبه ويهتز.

إن الذي يدعي اجتناب الذنوب فهو كاذب، إذ من المعلوم أن النمل تجتمع حتما حيث توجد الحلوى، كذلك تلازم الإنسان نوازع النفس، وأنى له أن يتخلص منها؟ وإن لم يحالف الإنسان فضل الله ورحمته فليس بوسعه اجتناب الذنب سواء أكان نبيا أو وليا. كما أنه ليس مما يفتخر الأنبياء والأولياء به أنهم لا يرتكبون الذنوب، بل كانوا يسألون الله فضله دوما. إنما المراد من استغفار الأنبياء هو أن تبقى يد فضل الله عليهم دوما، وإلا لو وُكِل الإنسان إلى نفسه فلا يسعه أن يكون محفوظا ومعصوما أبدا. يشرح الدعاء «اللهم باعدْ بيني وبين خطاياي» والأدعية الأخرى أيضا هذا المعنى للاستغفار. فسِرُّ العبودية حصرا أن يأوي المرء إلى الملاذ الإلهي، فالذي لا يريد ملاذ الله فهو متكبر».

كيف نجد اللذة في العبادة؟!

سأل أحدُ الإخوة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قائلا: كيف تنشأ المتعة والذوق في الصلاة؟ فقال حضرته عليه السلام: إن خلق الشوق والذوق في الأعمال الصالحة والعبادة ليس بوسع الإنسان بل يعتمد على فضل الله وتوفيقه. فمن الضروري لهذا الغرض ألا يقلق الإنسان بل يستمر في الدعاء طالبا من الله توفيقه وفضله ولا يملّ من الدعاء. فعندما يستمر الإنسان في الدعاء بالمثابرة يمكِّنه الله تعالى بفضله مما يحترق قلبه من أجله. (أي إذا كان عند الإنسان حرقة واضطراب للعبادة فليستمر فيها، فسوف تنشأ فيه هذه الحالة أخيرا.) أي سوف يتولد فيه شوق وتوق وحلاوة من أجل العبادة، أما إذا لم يقم بالسعي والمجاهدة، وظن أن أحدا سيصلحه بنفخة واحدة، فهذا ليس من سنة الله تعالى. إن الذي يختبر الله تعالى بهذه الطريقة إنما يسخر من الله ويهلك في النهاية. اعلموا جيدا أن القلب بيد الله تعالى، ولولا فضل الله فقد يرتد المرء ويتنصر في اليوم التالي أو يقع في معصية أخرى، لذا فاسألوا الله من فضله واستعينوا به لكي يثبّتكم على الصراط المستقيم. إن الذي يستغني عن الله تعالى فهو شيطان. فلا بد للإنسان من أن يستغفر الله دوما لكيلا يتولد فيه ذلك السم والحماس المدمر للإنسان.

إذن فلا بد من الاستغفار من أجل بلوغ المستوى المطلوب في العبادة.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام وهو يخبر عن سبيل النجاة من عذاب الله تعالى: يجب التوجه إلى التوبة والاستغفار، فهذا هو السبيل للنجاة من عذاب الله. ماذا عسى أن يفعل الإنسان من أجل ذلك غير التوبة والاستغفار؟ لقد قال الأنبياء جميعا إنكم إذا تبتُم واستغفرتم فسوف يغفر الله لكم. فصلّوا الصلوات واستعينوا بالله على اجتناب الذنوب في المستقبل، واسألوه العفو عن ذنوبكم السابقة، وأَكْثِروا من الاستغفار كيلا تظهر قوة الذنب الكامنة في طبيعة الإنسان. هناك ملَكتانِ في طبيعة الإنسان، أولاهما قوة كسب الحسنات وفعلِ الخيرات، والأخرى قوة ارتكاب السيئات والمعاصي، ووضعُ الحدّ لهذه القوة هو بيد الله، وتكمن هذه القوة في الإنسان كُمونَ النار في الزند.

ثم قال عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ

ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[10]. تذكّروا أن هذه الأمة قد أُعطيتْ شيئين: الأول أن استغفِروا للحصول على القوّة، والثاني ثم توبوا إلى الله وارجعوا إليه لإظهار هذه القوة عمليا. والاستغفار هو من أجل الحصول على القوّة، ويُسمّى أيضًا الاستمداد والاستعانة. لقد كتب الصوفية –وقد ذكرتُ هذا من قبل أيضا– أن الرياضة والتمارين كما تُزوِّد الإنسان بالقوّة والطاقة الجسدية، كذلك فإن الاستغفار هو رياضة روحانية تنال بها الروح قوةً، والقلبُ ثباتا. فمن يرغب في نيل القوّة فعليه بالاستغفار.

ثم قال عليه السلام: إن باب فضل الله ورحمته لا يُغلق أبدا. لو تاب الإنسان بصدق القلب والإخلاص لوجد الله غفورا رحيما وقابلاً توبة عبده. أما السؤال عن كم من المذنبين سيغفر لهم الله، فهو وقاحة شديدة وسوء أدب في حضرة الله تعالى. إن خزائن رحمة الله واسعة لا تنفد، ولا ينقصه شيء، ولا تُغلق أبوابه على أحد. إنها ليست كمثل الوظائف لدى الإنجليز إذ يعجزون أن يعطوا الوظيفة لعدد كبير من المثقفين. كلا، بل إن كل أولئك الذين يتمكنون من الوصول إلى عتبات الله سينالون الدرجات العليا، هذا وعد مؤكد. فشقيٌّ وتعيسُ الحظ مَن يقنط من الله ويأتيه وقت الاحتضار وهو غافل، ولا شك أن الباب يُغلق عندها. (أي إذا جاء الموت فعندئذ لا توبة ولا استغفار)

التوبة سنة الله في قانون الطبيعة

قال عليه السلام: ليكن واضحا أن التوبة في اللغة العربية تعني الرجوع، لذلك ورد اسم الله «التواب» أيضا في القرآن الكريم، أي أنه كثير الرجوع، والمراد أن الإنسان إذا كفّ عن الذنوب ورجع إلى الله تعالى بصدق القلب رجع الله إليه أكثرَ منه. وهذا يطابق تماما قانون الله الطبيعي، فما دام الله تعالى قد فطر الإنسان على أنه إذا رجع إليه شخص آخر بصدق القلب لان له قلب الأخير أيضا، فكيف يقبل العقل أن يرجع العبد إلى الله تعالى بصدق القلب ولا يرجع الله إليه؟ كلا، بل إن الله الكريم والرحيم جدا يرجع إلى عبده أكثر منه بكثير، ولذلك قد ورد في القرآن الكريم اسم الله «التواب»، أي كثير الرجوع كما قلت آنفًا. فرجوع العبد إلى الله يكون بالحسرة والندم والتذلل والتواضع، أما رجوع الله إلى العبد فيكون بالرحمة والمغفرة. لو لم تكن الرحمة من صفات الله لما نجا أحد. من المؤسف حقا أن هؤلاء القوم لم يتدبروا صفات الله، بل جعلوا المدار كله على أعمالهم وأفعالهم، ولكن الله الذي خلق للإنسان آلاف النِعم في الأرض بغير عمل منه، فكيف يمكن أن يكون من خُلُقِ الله تعالى ألا يتوجه برحمته إلى الإنسان الضعيف حين يرجع إليه بعد أن يفيق من غفلته، سيّما إذا كان رجوعه وكأنه يكاد يموت في هذا السبيل ويخلع عن جسمه اللباس النجس القديم ويحترق في نار محبة الله سبحانه وتعالى؟ أهذا قانون الله السائد في الطبيعة؟ لعنة الله على من قال بهذا!

وقال المسيح الموعود عليه السلام وهو يحثّنا على إحداث تغيير واضح في حياتنا: اعلموا أن الاتكال على الدواء والتدبير تاركين الله تعالى حماقةٌ. غيّروا حياتكم بحيث تبدو حياةً جديدة، حياةَ الاستغفار. واستغفروا كثيرا. إن الذين تشغلهم أعمال الدنيا كثيرا عليهم أن يخافوا كثيرا. إن أصحاب الوظائف يقصّرون في أداء معظم فرائض الله تعالى، لذا يجوز لهم في حال الاضطرار أداء صلاتي الظهر والعصر وصلاتي المغرب والعشاء جمعًا، (أي إذا كان هناك اضطرار شديد فيمكنهم أداء الصلوات جمعا، ولكن الأصل هو أداء الصلوات في مواقيتها).

وتابعَ عليه السلام فقال: إنني أعلم أنّ المرء لو استأذن المسؤولين

لأداء الصلاة أذنوا له بأدائها. (أي أن الموظفين لو استأذنوا مسؤوليهم الذين ليسوا مسلمين في أداء الصلاة فإنهم يسمحون لهم بذلك). إن تقديم مثل هذه الأعذار الواهية من أجل ترك الصلاة ليس إلا ضعف النفس. فلا تظلموا ولا تقصروا في أداء حقوق الله وحقوق العباد، وأنجزوا واجباتكم المنوطة بمناصبكم بكل أمانة.

فالاستغفار والتوبة لا ينفعان إلا بعد العمل بأحكام الله الأساسية، أي يجب إقامة الصلوات بانتظام، كما لا بد من أداء حقوق الله وحقوق العباد على ما يرام.

فانهضوا وتوبوا، وأَرْضُوا مالِكَكم بصالح الأعمال، واعلموا أن العقوبة على الأخطاء العقدية ستترتّب بعد الممات، وأن الحكم في كون أحد هندوسيا أو مسيحيا أو مسلما سيصدر يوم القيامة، ولكن الذي يتعدى الحدود في الظلم والجور والفسق والفجور فيُعاقَب في هذه الدنيا نفسها، ولا يستطيع الفرار من عقاب الله تعالى بحال من الأحوال. فأَرْضُوا ربكم سريعا. إنه كريم للغاية، ويمكن أن يغفر في لحظةٍ واحدة ذنوبَ سبعين سنة بتوبةٍ صادقة تذيب القلب. لا تقولوا إن التوبة لا تُقبَل. اعلموا يقينا أنكم لن تنجوا بأعمالكم، كلا، بل إن فضل الله تعالى هو الذي ينجي دائما وليست الأعمالُ. فتوبوا إلى الله وأنيبوا، واسألوه فضله واستغفروه دوما.

ثم قال عليه السلام: فيا إلهي الكريم الرحيم، أَنْزِلْ فضلك علينا جميعا، فإننا عبادك المرتمون على عتباتك، آمين. ندعو الله تعالى أن يجعلنا من ورثة دعاء المسيح الموعود عليه السلام، وأن نكون من الذين يستغفرون ويتوبون مستوعبين مفهوم التوبة والاستغفار حقا.

في نهاية الخطبة تناول حضرة أمير المؤمنين بالذكر بعض المرحومين.

الهوامش:

١. (النساء: ٦٥)
٢. أبو منصور الديلمي، مسند الفردوس
٣. (البقرة: ٢٢٣)
٤. المتقي الهندي، كنز العمال
٥. (الملفوظات ج٢)
٦. (الملفوظات ج٩)
٧. (متى ٢٧:٤٦-٥٠)
٨. (الملفوظات ج١٠)
٩. أخرجه البخاري(هود: ٤)
١. (هود:٤)

نبذة عن كتاب الخطبة الإلهامية

بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك، نستحضر موضوعًا إلهاميًّا كان له بالغ الأثر في النفوس، وظل شاهدًا على تحقق نبوءة سيد الورى ﷺ التي حدثنا فيها عن فلسفة شعيرة أصيلة من شعائر الإسلام، ألا وهي شعيرة الأضحية، وذلك من منطلق تعظيمها وإجلال قدرها، تمثل ذلك الإلهام بصورة خطبة ألقاها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بمناسبة يوم الأضحى، ونُشرت هذه الخطبة ضمن كتاب يحمل نفس الاسم، ونقدم لكم نبذة عن تاريخها وخلفيتها.[1]

ألقى هذه «الخطبة الإلهامية» حضرة الإمام المهدي مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام في صبيحة عيد الأضحى المبارك واشتملت على الكثير من الحِكَم والتُحف والبيّنات والعلامات. وقد بدأها حضرته عليه السلام بالقول: «ياعباد الله فكّروا» وأنهاها بقوله: «وسوف يُنبئهم خبير.»[2]

وتفصيل ما حدث أنه في ليلة عيد الأضحى المبارك، تلقَّى سيدنا المسيح الموعود إلهامًا يقول: «ألقِ بضع جمل بالعربية»، ويتحدث حضرته في موضع آخر ببيان أكثر تفصيلا فيقول: «تلقيت صبيحة عيد الأضحى إلهامًا: أَلْقِ كلمةً بالعربية. فأخبرتُ كثيراً من الأحباب بذلك. ولم يسبق لي أن ألقيتُ كلمةً بالعربية قط، ولكن قمتُ في ذلك اليوم بإلقاء خطبة العيد بالعربية، فأجرى الله على لساني كلاما عربيّا بليغًا فصيحًا مليئًا بالمعارف، وقد سُجّلَ في كتاب «الخطبة الإلهامية». وهو خطاب يبلغ عشرات الصفحات، وألقيتُه ارتجالاً دفعة واحدة واقفًا. وقد سمّاه الله تعالى في وحيه آية؛ لأنني قمت بهذا الخطاب ارتجالًا بمحضِ قدرة الله تعالى. إنني لا أصدّق أبدًا أن أديبًا عربيًّا من أهلِ الفصاحة والعلم يقدر على أن يقف ويلقي مثل هذه الخطبة ارتجالًا. فهذه هي

سوريا
ضحى أحمد

«تلقيت في صباح يوم ١٩٠٠/٤/١١ يوم عيد الأضحى إلهامًا تعريبه: "اخطُب اليوم بالعربية، لقد أُعطيتَ القوة". ثم تلقيت وحيًا آخر: "كلام أُفصحتْ مِن لدن ربٍّ كريم [...] فقمتُ بعد صلاة العيد لإلقاء الخطبة باللسان العربي، ويعلم الله أنني أُوتيتُ قوة من الغيب، وكان يخرج من فمي ارتجالاً خطابٌ عربي فصيح يفوق قدرتي تمامًا. ولا أظن أبدا أن أحدًا في الدنيا يقدر - من دون إلهام رباني خاص- على إلقاء خطاب بهذه الفصاحة والبلاغة يبلغ عدة صفحات من دون أن يكتبه على ورق أولاً.....

الخطبة التي يشهد لها قرابة ١٥٠ شخصا.»[٣]

وفي موضع آخر من كتبه، يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: «تلقيت في صباح يوم ١٩٠٠/٤/١١ يوم عيد الأضحى إلهامًا تعريبه: ''اخطُب اليوم بالعربية، لقد أُعطيتَ القوة''. ثم تلقيت وحيًا آخر: ''كلام أُفصحتْ مِن لدن ربٍّ كريم فقمتُ بعد صلاة العيد لإلقاء الخطبة باللسان العربي، ويعلم الله أنني أُوتيتُ قوة من الغيب، وكان يخرج من فمي ارتجالاً خطابٌ عربي فصيح يفوق قدرتي تمامًا. ولا أظن أبدا أن أحدًا في الدنيا يقدر — من دون إلهام رباني خاص– على إلقاء خطاب بهذه الفصاحة والبلاغة يبلغ عدة صفحات من دون أن يكتبه على ورق أولاً. عندما ألقيتُ بين الناس هذه الخطبة العربية التي سُمّيت «الخطبة الإلهامية» كانت عين غيبية تتدفق عندئذ، ولا أدري ما إذا كنتُ أنا المتكلم أم كان ملاك يتكلم بلساني! لأنني كنت أعلم أنْ لا دخل لي في هذا الكلام. كانت الجمل الجاهزة تخرج من فمي تلقائيا، وكانت كل جملة منها آية لي.»[٤]

إن من جوانب عظمة الخطبة الإلهامية أنها تبدي لقارئها نموذجًا فريدًا وتجربة مؤثرة كيف بوسع أحد أن يقف هكذا ويلقي خطابًا طويلًا بالعربية دون استعداد مسبق إنها معجزة معرفية أراها الله تعالى، وليس بوسع أحد أن يقدِّم نظيرها.

ففي صبيحة يوم العاشر من ذي الحجة عام ١٣١٧هـ، والذي وافق يوم الحادي عشر من إبريل عام ١٩٠٠م في قاديان الهند ألقى سيدنا مرزا غلام أحمد المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام خطبة عصماء بلسان عربي مبين مؤيَّدًا من الله عز وجل، وعُرفت هذه الخطبة بـ"الخطبة الإلهامية"، وقد بيَّن فيها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام حكمة الله عز وجل البالغة والكامنة في تقديم القرابين، ويتكون الكتاب من خمسة أبواب وقد أفرد حضرته عليه السلام لهذه الخطبة الباب الأول، أما الأبواب الأربعة التالية فقد ألّفها حضرته لاحقًا وضمها إلى الخطبة الإلهامية، وكذلك ألحق عليه السلام بالكتاب قصيدة عربية من تسعة وخمسين بيتًا، ثم حاشيتين طويلتين ضمّنهما دقائق المعارف الروحانية، فأولاهما عن الفرق بين آدم والمسيح الموعود، والثانية عن استدعاء حال العصر بعثته مسيحًا موعودًا.

الحق أن عظمة الخطبة الإلهامية تلوح لقارئ الكتاب بمجرد أن يشرع في تصفحها، إذ طالما اختزل الناس من عوام المسلمين ومشايخهم الاحتفال بعيد الأضحى في قضم اللحم ولبس الفخم، وفي أحسن أحوالهم يتصورون أن الحكمة الكامنة في القربان هي أنه نوع من التصدق بالطعام على الفقراء والأقارب والمعارف، دون أن يدركوا عمق الفلسفة والحكمة البالغة من تقديم القرابين.

فكان عليه السّلام أوّل من يتعمق في فلسفة هذه الشّعيرة ويوليها الاهتمام الكبير ويسبر غور الغايات الإلهية من الأوامر

الربانية وربط بين أفعال المؤمن وغاياتها ليكون سائرًا على الصراط المستقيم ويصل للغاية من خلقه بكونه خليفة الله في الأرض، ويرى حضرته من في الأضاحي بعدًا عميقًا وحكمة عظيمة حيث يقول: « إن العبادة المنجية من الخسارة، هي ذبح النّفس الأمارة، ونحرها بمُدى الانقطاع إلى الله ذي الآلاء والأمر والإمارة، مع تحمل أنواع المرارة، لتنجو النّفس من موت الغرارة. وهذا هو معنى الإسلام، وحقيقة الانقياد التّام.

والمسلم من أسلم وجهه لله رب العالمين، وله نحر ناقة نفسه وتلّها للجبين، وما نسي الحَين في حِين».

ولما كانت هذه الخطبة آية عظيمة تشهد بصدق المسيح الموعود وتأييده من الله تعالى، شجعّ المسيح الموعود عليه السلام أتباعه نظرًا إلى أهميتها على أن يحفظوها عن ظهر غيب، فاستظهرها عدد من الإخوة ومنهم الصوفي غلام محمد، والسّيد مير محمد إسماعيل، ومفتي محمد صادق، والمولوي محمد علي وبعض الصحابة الآخرين. ثم قرأها الصحابيان المذكوران في الأخير في مجلس المسيح الموعود عليه السلام عن ظهر غيب على سطح المسجد المبارك بين صلاتي المغرب والعشاء.

من المعلوم أن المولوي عبد الكريم كان يملك ذوقًا علميًّا كبيراً وكان مشغوفًا بهذه الخطبة إلى حد لا يوصف فكان يقرأها على الناس كثيراً وكانت تستولي عليه حال من الوجد بمجرد قراءته بعض عباراتها.(٥)

أثر «الخطبة الإلهامية» في أهل العربية

في عام ١٩٤٠م تقريبًا، كان أحد المسلمين الأحمديين من الهند ويدعى الحاج عبد الكريم، عسكريًّا في الجيش البريطاني، بحكم وقوع الهند تحت الاحتلال البريطاني آنذاك، وكان قد يمم شطر مصر، وشرع خلال مدة وجوده بمصر في تبليغ العرب من المصريين بدعوى المسيح الموعود عليه السلام، وكانت نتيجة ذلك التبليغ أن بايع أحدُ أصدقائه المصريين، ويدعى «علي حسن»، فكان ذلك الأخ المصري يصطحب الحاج عبد الكريم إلى سكان البلدة من العرب لكي يبلغهم رسالة الأحمدية، وكان من بين من حظوا بذلك التبليغ موظف في مصلحة البريد والتلغراف، واستمر الحوار بينهما أيامًا، فاتفق معه في جميع المسائل عدا بعث نبي من الأمة المحمدية، فكان أن أهدى الحاج عبد الكريم لمحاوره نسخة من «الخطبة الإلهامية» وانقطع عن زيارته عدة أيام.

وذات يوم تلقّى الحاج عبد الكريم رسالة من محاوره موظف البريد، دعاه فيها إلى بيته لتناول الطعام، وما أن حلَّ الحاج عبد الكريم ضيفًا على موظف البريد حتى بادره الموظف بطلب إرسال رسالة بيعته، فسأله الحاج هل انحلت مسألة النبوة؟ فأجابه قائلًا: لقد دعوت أحد كبار مشايخ الأزهر لتناول العشاء عندي، وأخبرته أن بعض أهل الهند بلّغوني رسالة الأحمدية، وقالوا لي إن المسيح عيسى عليه السلام قد مات وأن عيسى المزمع مجيؤه هو رجل من أمة سيدنا محمد ﷺ، وأنه سيأتي مسيحًا ومهديًّا، وأن حضرة مرزا غلام أحمد القادياني يقول إنه هو ذلك المسيح الموعود والإمام المهدي، فاتفقت معهم في كل شيء إلا كون الميرزا نبيًّا من الأمة، فهذا لم أستسغه ولم أستوعبه. أما أنت فعالم دين، فأرجو أن تخبرني هل موقفي صحيح أم لا؟ فقال لي ذلك الشيخ الأزهري: لقد قرأت كتب المرزا والتقيت ببعض الأحمديين، وتجاذبت معهم أطراف الحديث، فالنبوة التي ادّعاها المرزا لو جاء ألف نبي بحسبها فلا يتأثر بذلك ختم النبوة. فقلت له: الآن سوف أنضم

إن العبادة المنجية من الخسارة، هي ذبح النّفس الأمارة، ونحرها بمُدى الانقطاع إلى الله ذي الآلاء والأمر والإمارة، مع تحمل أنواع المرارة، لتنجو النّفس من موت الغرارة. وهذا هو معنى الإسلام، وحقيقة الانقياد التّام. والمسلم من أسلم وجهه لله رب العالمين، وله نحر ناقة نفسه وتلّها للجبين، وما نسي الحَين في حِين

إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية، فمسؤوليتي تقع عليك يوم القيامة، فقال الشيخ الأزهري. إن جوابي هذا يخصك أنت هنا فقط، فإذا طرحتَ علي السؤال نفسه في العامة فسوف أقول: لا يمكن أن يأتي أي نبي حتى من الأمة. وإذا أردت أن تنضم إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية فافعلْ فأنا أتحمل المسؤولية. أما أنا فتعترضني بعض العقبات، أكبرها أني إذا أصبحت أحمديًّا فسوف أُسرَّح من العمل، فحين سمعت ذلك من فم ذلك الشيح الأزهري، عقدتُ العزم على الانضمام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية، وبدأت أقرأ الخطبة الإلهامية، وأنهيتها قبل النوم. واتفق في تلك الليلة أن رأيت فيما يرى النائم أن سيدنا أحمد المسيح عليه السلام ذاهب إلى مكان ومعه جماعة كبيرة من الناس، فسألته مَن هؤلاء يا سيدي؟ وإلى أين تأخذهم؟ فقال هؤلاء أولياء الله الذين سبقوني في الأمة المحمدية وآخذهم لزيارة النبي ﷺ وأنا خاتم الأولياء ولا وليَّ بعدي إلا من كان من جماعتي ولا نبي بعد النبي ﷺ إلا أن يكون نبيٌّ من أمته. وعندما استيقظت كانت مسألة ختم النبوة قد حُلت، وكنت سعيدًا أيَّما سعادة. يقول الحاج عبد الكريم: أرسلت استمارة بيعته مع تفصيل هذا الحادث فورًا إلى قاديان.[٦]

كان هذا غيضًا من فيض تجليات عظمة الخطبة الإلهامية، والتي ينقطع نظيرها في بيان دلالة الأضحية والحكمة من تلك الشعيرة، وما قدمه حضرته فيها من الأدلة والبراهين من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة على كونه المسيح الموعود والمهدي المنتظر، وألقى فيها **الضوء أيضًا على حقيقة معراج النبي ﷺ**.

ولا يُدرك عظمة شيء من يجهل قدره، وفي هذا الصّدد ثبت أن حضرة مرزا غلام أحمد القادياني هو الإمام المهدي، إذ هداه الله العليم الحكيم إلى تلك الدقائق، فأعثره على جوهر التقوى، يقول تعالى: «ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ.»[٧]

الهوامش:

١. مرزا مسرور أحمد، خطبة الجمعة بعنوان «الخطبة الإلهامية»، ألقيت بتاريخ ٢٠١٤-٠٤-١١.
٢. مرزا غلام أحمد القادياني، الخطبة الإلهامية، الطبعة الحديثة، الشركة الإسلامية المحدودة، لندن، ٢٠٠٩م.
٣. مرزا غلام أحمد القادياني، نزول المسيح، الطبعة الحديثة، الشركة الإسلامية المحدودة، لندن.
٤. مرزا غلام أحمد القادياني، حقيقة الوحي، الطبعة ٢، الشركة الإسلامية المحدودة، لندن، ٢٠١٥م.
٥. انظر: مرزا مسرور أحمد، خطبة الجمعة بعنوان «الخطبة الإلهامية».
٦. انظر: المرجع السابق.
٧. (الحج: ٣٣).

جانبٌ من حقيقة الإسلام، ديناً وسلوكاً

(مصر)

الأستاذ المرحوم

فتحي عبد السلام

تعريف الإسلام من الناحية اللغوية

الإسلام هو إعلان المسالمة ونفي المعاندة، وله تطبيقات شتى كل منها إسلام. وفعل «سَلِمَ» من بنيته الصرفية هو فعل غير مُتَعدٍّ، أي لازم، علما أن الأفعال على ضربين: متعدّ وغير متعدٍّ، فالمتعدّي ما يفتقر وجودُه إلى محل غير الفاعل. والتعدي التجاوُز، يُقال: «عدا طَوْرَه»، أي: تَجاوز حَدّه، أي: إن الفعل تجاوز الفاعلَ إلى محل غيره، وذلك المحلّ هو المفعول به[1].. وقياسا على كلام النحاة، يكون الفعل «اسلم» دالا على معنى السلامة الذاتية.. وهو يتعدى بالهمزة ليصير «أسلم» بمعنى فاض منه السلام وتعدى نحو ذات غيره. ويمكن اشتقاق «اسم الفاعل» من «أسلم» بالإتيان بمضارعه «يُسْلِم»، وإبدال ياء المضارَعة ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر، لنحصل في النهاية على لفظة «مسلم». فالفعل المتعدي «أسلم» هو مثل «أَسْمَعَ» الذي لازِمُه «سمع»، و«أَفْهَمَ» الذي لازِمُه «فَهِمَ».

وللإسلام معناه العام

والإسلام من معانيه ذلك الموقف المُتَّخَذ من الطرف الآخر.. وهو إعطاء السلام له.. أو هو الحياة في سلام مع الطرف الآخر. وكل من أعلن مسالمة وكف عن حرب ومعاندة فهو مسلم. فمن سلم الناس في وطنه من لسانه ويده وأذاه فهو مسلم وله هوية مسلم بمعنى.

والشعب والقطر الذي نسلم من أذاه ومن طمعه ومن حقده ويعلن السلام معنا تماما فهو مسلم بمعنى.. والشعب الذي

من الإسـلام أن يُسالم المرء ربه عز وجل ويحيا في سلام مع خططه التي جعلها الله لنمو عباده ورقيهم.. لأنه بصفته ربًّا لا بد أن يربي، وقد خلق روحا فلزم أن يجعل مصيرك رحمة حسب صفته الرحمة التي غلبت الغضب. وقد اقتضت حكمته أن نقوم بتنفيذ كل تعاليم الأنبياء لكي نتطهر ونترقى ونترب ونزداد وننمو..

يؤوي المسلمين ويسالمهم ويعاملهم بإحسان هو مسلم بمعنى..

معنى خاص جدا

ومن الإسلام أن يُسالم المرء ربه عز وجل ويحيا في سلام مع خططه التي جعلها الله لنمو عباده ورقيهم.. لأنه بصفته ربًّا لا بد أن يربي، وقد خلق روحا فلزم أن يجعل مصيرك رحمة حسب صفته الرحمة التي غلبت الغضب. وقد اقتضت حكمته أن نقوم بتنفيذ كل تعاليم الأنبياء لكي نتطهر ونترقى ونترب ونزداد وننمو.. ولا بد لنا من ذلك، وإلا ما كان هناك مبرر لوجودنا أصلا.. ولا يكلف الله تبارك وتعالى نفسا إلا وسعها. وكل ذلك فيه معاناة تشبه إجراء عمليات تجميل جراحية، فوجب عليك الاستسلام لخُطة نحن الطرف الوحيد المنتفع منها، مهما كدحنا وعانينا، خاصة أنه، عز وجل، هو سيهب لنا طاقة تحمل المعاناة أيضا.. باختصار، كل التكلفة هو ضامنها.

ومن معاني المسالمة مع الله توحيده حبا، والرضا بتلك العملية الجراحية وعدم المقاومة والانتفاض. وهذا الرضا يسمى إيمانا، لأننا نُحِسُّ بالأمان ناحية الله ونطمئن له ونُسَلِّم أنفسنا لأوامره ليعمل العملية وتتم بنجاح، فنقوم على حال أجمل مما كنا عليها، ويُكتب لنا الشفاء.

الله غني عنا ولكنه أمرنا بأن نكون عقلاء مدركين أنه هو الملاذ والصديق الوحيد العالم المقتدر، الذي يعتبر اللجوء لغيره غباء ونكرانا وعمى ولجوءا إلى عاجز مفلس كل ما لديه هو مستعار من الله الأصل.. وطالبنا أن نكون حساسين للجمال والجلال رحماء رائعين صالحين مسالمين شجعانا في الحق صابرين عابدين لله معترفين بجميل من يحسن إلينا.

وقد جاء رسول الله محمد ﷺ بكل معاني الإسلام، وعلى قمتها الإسلام لله أو الدخول في سلم مع معه ﷻ، وذلك اقتداء بملة إبراهيم حنيفا، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[٢]

أصل معنى الإسلام لله كما جاء به مسيح الله مجددا دين محمد ﷺ

من يعلم أن الله ﷻ له صفات الحياة والقدرة والعظمة والقيومية والربوبية والرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية والرحمة المالكية ويعلم أنه رب الفيزياء والكيمياء والزرع والفلك والسوائل والغازات والعلوم والنفوس والصحة والمرض والموجات والأمواج والنور والحر والبرد فإنه يتخذ الله وليا، ويحيا مدركا حضوره معه في تعلمه وطعامه وشرابه وكلامه ومذاكرته وامتحاناته وشغله وتصميماته وخططه وتعاملاته وزواجه ومعاشرته المنزلية وتربيته لولده، ويدخل الله معه في كل شأن مستشارا مستخارا.. ويقرأ رسالته متمعنا فرحا بها ويعمل بما فيها ويستمد من الله علم

مالم يعلم منها .

هذا الإنسان الذي شغف بالله محبة يعده الله بالحياة الناجحة، فيظل مع الله ﷻ وحده مشغولا به له كل وقته وجهده، مع ملاحظة أن الله ﷻ غني، والعلاقة علاقة انتفاع صرف من طرف الإنسان، ويجعل لله كل خواطره ونياته وماله وحياته..

التوحيد لازم ليتم مشروع تنمية المرء بنجاح، لأن كل متدخل آخر سيفسد العملية، والموحد المسلم يرى كل خير ممنوحا من يد الله تعالى ولا يرى سببا نافعا إلا بالله ولا خطرا مؤثرا إلا بسماح الله والله لن يخذل وليه.

النتيجة المأمولة

لو وافقت على عقد معاهدة السلام مع الله ﷻ ليرُبَّك كما يحب أو يرقيك كما يرضى أو ينميك كما هي خطة رحمته الأولى أو يجري عليك جراحة التجميل والتكميل حسب الكتالوج فإنه يحدث شيء رائع، إذ يُظهِر الله ﷻ وجوده وكماله وعظمته وقدرته فيك ويرى الناس من جمالك وحلاوة كلامك وقوة حجتك عجبا. ويعلمك الله علوما نادرة ويجعلك محفوظا من أوبئة منتشرة أنت ومن يصدق معك الصداقة..

يجعل الله ﷻ كلامك يوافق الفطرة وينأى عن الخرافة ويجذب الفكرة النقية ويسبب نمو العلم والتعليم والتقدم الجامع بين الإبداع والأخلاق والتوفيق المانع من التلويث والإفساد والإلحاد.

إن الناس يصعب عليهم فهم معاني الإسلام بشكل فلسفي مجرد، فالله ﷻ جعل من العبد الصالح مرآة يرى الناس فيها روعة العظمة في أن تسلم لله حياتك ليصلح هو شأنك كله: طبعا بكلامه في كتابه وطريقة نبيه ﷺ في الحياة. فتصير عادل الحكم محسنا للجميع مواسيا لبني آدم مقتبسا من ربك ما يناسب البشرية من صفات المالكية والرحيمية والرحمانية والربوبية ..

ينصرك الله ﷻ ويجري على يديك آيات ويجعلك سببا للبركات ومربيا لتحف فريدة الجمال من نماذج البشر المتتلمذين على يديك. ويكتب التاريخ نتائج الإسلام بكل روعتها متجسدة على شكل حياة إنسان صالح.

وتكون محصِّلة كل ذلك ونتيجته أن يختار الناس دينك رويدا مقبلين يتزايدون ويُترَك لله ﷻ حساب المعرضين.

الحمد لله يتجلى في المرآة

كل هذا سيكون بروزا للحمد الإلهي، أو برهانا على أن الله هو الجميل، ومن جماله كان هذا النموذج الإنساني الجميل، الذي اكتسب جماله من استسلامه لتأثير وأعمال وكلام وعمليات التجميل التي يُجريها الله الجميل.

وسيكون برهانا من الله ﷻ على كمالات هذا النوع من فهم الإسلام، وبراءة إلى المكذبين من كل نوع آخر من فهمه ينتج قبحا وقسوة وغلظة وظلما ويثمر الكبر والغطرسة وتغلب الشهوات وعيشة الإكراه وفكر الخرافة..

إن مصير القساة والمخرفين وحياتهم النكدة هي مرآة على عورات فهمهم للإسلام وأن إسلامهم ليس هو الإسلام.

لقد تبنى مسيح الله الموعود ﷺ معنى الإسلام الصحيح، فأنعم الله عليه وجعله من المنعم عليهم: بأن جعله مرآة لجماله تعالى وكماله ومرآة لجمال وجدوى وصحة معنى التوحيد الحق والإسلام الصحيح..

الهوامش:

١. موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، الطبعة ١، ج٤، ص٢٩٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٢. (البقرة: ١٣١-١٣٢)

باقة من أقوال الأغيار
في النبيّ المختار ﷺ

بعد وفاة جوستينيان بأربع سنوات، أي في ٥٦٩ ميلادي، وُلد في مكة إنسان كان أكثر الناس تأثيرا على البشرية، وهو محمد الذي يعدّه الأوروبيون كذابا... ولكنّ محمدا كان متحليًا بمحاسن حددت مصير عديد من الأمم. كان جنديًا ومبلّغا؛ إذا صعد المنبر كان خطيبا فصيحا، وإذا نزل ساحة القتال كان شجاعا مقدامًا. إن ملخص دينه هو أن الله أحد، لم يلجأ لبيان هذه الحقيقة إلى النقاش النظري، بل علّم أتباعه النظافة والصلاة والصوم وما إلى ذلك من أمور، وحسّن حالتهم الاجتماعية عمليا. وقد فضل الصدقات على كل الأمور الأخرى. (جون ويليام دريبر)

كلّما فكّرنا في تاريخ محمد وتاريخ بداية الإسلام، تملّكَنا الذهول أمام نجاحاته العظيمة. لا شك أن الظروف كانت مواتية لمحمد فأتاحت له فرصًا لم تُتَحْ إلا لقليل من الرجال، غير أن الرجل كان على مستوى الظروف تمامًا، فلو لم يكن ذا نظر ثاقب، ورجلَ دولة، ومتوكلا على الله، وموقنا بأنه مبعوث من الله فعلًا، لما كُتب في تاريخ الإنسانية فصلٌ هامّ جدًا. ولي أملٌ أن هذا الكتاب عن سيرته سوف يساعد على تقدير هذا العظيم من أبناء آدم. (وليام مونتغمري)

لقد اجتمعت في شخص محمد – كونه مؤسسَ دين وحاكمَ دولة – شخصيتان، شخصية البابا وشخصية قيصر. لقد كان محمد بمنزلة "البابا"، ولكنه كان أسمى من المظاهر البابوية، وكان قيصرًا ولكنه كان في غنى عن الأُبّهة القيصرية. لو حُقّ لأحد أن يعلن أنه قد أرسى دعائم الأمن والسلام في العالم باسم الله فقط، بدون أن يكون لديه جيش نظامي ولا قصور ملكية ولا جبايات وإتاوات، فإنما يحق ذلك لمحمد. لقد ملك القوة بدون الأسباب المادية. (ريجنالد بوزورث سميث)

كان ينجز كل أعماله، وكان لا يمدّ يده إلى شيء ما لم يكن موضوعًا أمامه تماما، وهكذا كانت عادته في معاشرة الناس، فإذا تكلّم مع أحد لم يتوجّه قليلا، بل صار وجهًا لوجه له، ومال إليه بكل جسمه، وإذا صافح أحدا لم يرجع يده قبل الطرف الآخر، وكذلك كان لا يترك حديثه غير مكتمل مع أحد ولو كان أجنبيا، وكان يسمع كلام الآخر حتى نهايته. كانت بساطته التي ورثها من آبائه طابعَ حياته. كان يقوم بأعماله بنفسه، وكلما أراد أن يتصدق على السائل تصدّق بنفسه. وكان يساعد زوجاته في أمور البيت. (ويليام موير)

العِبْءُ النَّفْسِيُّ جَرَّاءَ الدَّيْنِ، وَالحَلُّ الإِسْلامِيّ لِلْمُشْكِلَةِ مِن جِهَتَيْن

دوران في الحلقة المفرغة

في الوقت الذي نشرع فيه في التطرق إلى الحديث عن التدابير الاقتصادية والمالية من جانب والمشكلات الصحية النفسية من جانب آخر قد يبدو للبعض بادي الرأي أننا بصدد الحديث في مجالين بينهما بعد المشرقين، غير أن هذا الظن يثبت بطلانه بعد الاطلاع على تفاصيل هذا المقال. فإن العلاقة بين الديون والصحة النفسية لا يمكن إنكارها، حيث يعمل الضغط المالي غالبًا كمثير خارجي للقلق والاكتئاب ومجموعة من الاضطرابات النفسية الأخرى.

كشف تقرير صادر عن المكتب البرلماني للعلوم والتكنولوجيا أن ما يُقدَّر بحوالي ١٤,٦ مليون شخص بالغ في المملكة المتحدة يجدون صعوبة في التعامل مع أوضاعهم المالية، في حين يحمل ٧,٤ مليون شخص عبء الوفاء بالفواتير والالتزامات الائتمانية، الأمر الذي يشكِّل وقودًا سريع الاشتعال لأغلب مشاكل الصحة النفسية، وأولها القلق، وهو ما يتضح من حقيقة أن نسبة ثمان وخمسين بالمائة من المتورطين في الديون يعانون من قلق متوسط أو مرتفع، مقارنة . بنسبة سبع وعشرين بالمائة فقط من غير المتورطين فيها.[١]

ولا يتوقف الأمر عند القلق فحسب، إذ يتبلغ كارثية الأمر ببعض المدينين مبلغا يقدِمون عنده على الانتحار، فقد ورد في بعض التقارير أن في إنكلترا وحدها ما معدَّله أربعمائة وعشرين ألف شخص سنويا ممن تُثقِل كواهلهم أعباء الديون يفكرون في الانتحار بشكل جدّي.[٢] ولم يعد السبب خافيا بعد أن ثبتت العلاقة الطردية بين حجم الديون التي يتورط فيها المرء ودرجة ما يشعر به من اضطرابات نفسية. وهذا بحد

(المملكة المتحدة)

أحمد دانيال عارف و د. بلال دار

ولم يعد السبب خافيا بعد أن ثبتت العلاقة الطردية بين حجم الديون التي يتورط فيها المرء ودرجة ما يشعر به من اضطرابات نفسية. وهذا بحد ذاته قد يدفع المَدين إلى الانسحاب أو يمنعه من العمل بكامل طاقاته، فيعاني من صعوبات أكثر في حياته، مما يتسبب في المزيد من الضغوط المالية ويدخله في حلقة مفرغة من الديون المتزايدة والتدهور في الصحة النفسية.

ذاته قد يدفع المَدين إلى الانسحاب أو يمنعه من العمل بكامل طاقاته، فيعاني من صعوبات أكثر في حياته، مما يتسبب في المزيد من الضغوط المالية ويدخله في حلقة مفرغة من الديون المتزايدة والتدهور في الصحة النفسية.[٣]

صنم المجتمع الغربي الحديث

تجتاح العالم خلال القرون الأخيرة وتحديدا منذ القرن الثامن عشر عادات وسلوكيات وتوجهات نفسية واجتماعية ما كان لها أن توجد لولا بيئة عصر الحداثة الذي افتتحته الثورة الصناعية[٤]. وفي القرن التاسع عشر بدأ الفكر الغربي يسلك توجهات علمانية بصورة مطردة، مع تراجع تأثير الدين على الحياة اليومية والسياسية، بحيث رأى الغربيون أن التوجهات الفلسفات التقليدية، وكذلك التوجه الديني المسيحي قد فقدت قدرتها على توجيه حياة الناس وتقديم إجابات على الأسئلة المُلحَّة عن الوجود والغاية منه، ورأى الألماني فريدريك نيتشة مثلا أن فكرة الإله كمصدر للمعنى والقيم باتت غير قابلة للاستمرار في عصر العلم والعقلانية.. لم تكن هذه الفكرة المسمومة مجرد فكرة عابرة، بل كانت سنَّة سيئة ما زال العالم كله بعامة والعالم الغربي بشكل خاص يتجرع مرارتها، فقد أحدثت فكرة التخلي عن الإيمان بوجود إله حي قيوم، أحدثت فراغًا وجوديًا عميقًا، سرعان ما جرى ملؤه بالنزعة المادية التي لا تؤمن إلا بالرخاء الاقتصادي وبالنزعة الاستهلاكية، ولم تلبث تلك النزعة المادية أن أصبحت حجر أساس المجتمع الغربي الحديث. ولا نستغرب حين نعرف أن القرآن الكريم حيثما ذكر الحياة الدنيا، فإنما عنى بوضوح تلك القيم المادية، وما الحياة الدنيا إلا وصف بليغ للمادة، وسيطرة رأس المال، ومظاهر الاستهلاك، وتسليع الإنسان والمرأة، والاتجار بالمرض، إلى آخر هذه القائمة السوداء من الأمور التي تجعل من الإنسان عبدا لشهواته.. نعم، إن تعبير «الحياة الدنيا» هو وصف بليغ للقيم المادية، والتي ذكرها القرآن قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الآن، وقد تكرر ذكره في القرآن سبعا وستين مرة[٥]، منها قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[٦].. إن بريق المادية غالبا ما يحجب جوهر تحقيق الذات، بحيث إن المرء الدائر في حلقتها يجد نفسه في مطاردة لا هوادة فيها لنمط حياة يفوق إمكاناته.

النزعة الاستهلاكية وليدة المادية أو هل الزَّبون دومًا على حق؟!

بتقدُّم الزمان، وتطوُّر المستحدثات، بدا أن الاستهلاك هو الدليل الحسي الأكثر ذيوعا على وجود الإنسان المعاصر وكينونته، بعبارة أخرى يمكننا القول بأن الاستهلاك أصبح أسلوبا متَّبَعًا لدى البعض في تعبيرهم عن ذواتهم، فعوضا عن مبدأ «أنا أفكر، إذن أنا موجود»، أمسى الوضع رهين مبدأ «أنا أستهلك، إذن أنا موجود»، لا سيما بعد أن أصبح الاستهلاك نمطا حياتيا شائعا.

إن أحد المبادئ الأساسية للنظرية الاقتصادية الحديثة هو مفهوم «سيادة المستهلك»، أو ما اعتدنا على ترجمته إلى عبارة «الزَّبون دومًا على حق»، وتستند هذه الفكرة إلى أن للأفراد الحرية في اتخاذ قرارات الشراء بناء على خياراتهم الخاصة، مما يشير إلى أنهم الأجدر لمعرفة ما هو في مصلحتهم. كما يمكن للمستهلكين تنظيم خياراتهم المفضلة وتحديد أولوياتها بشكل فعال. وفي سياق النظام الرأسمالي، يتماشى هذا الإطار مع فكرة أن الطبيعة البشرية أنانية، مما يعني أن الأفراد سيتصرفون بطرق تعظّم مكاسبهم الشخصية.

الإعلام المعاصر خادم النزعة المادية المطيع

للمؤسسة الإعلامية دورها الخطير في تعميق وتعظيم النزعة المادية ومظاهرها الاستهلاكية، إلى جانب دور المؤسسة التمويلية بطبيعة الحال.إذ يجري تعزيز النزعة الاستهلاكية بشكل كبير من خلال الحملات الإعلانية الواسعة التي أصبحت فنًا بحد ذاتها. ومن الناحية النفسية، غالبًا ما يقاد المستهلكون إلى نهل شعورهم بقيمة ذاتهم من امتلاكهم لأغراض جديدة مقارنةً بمن في دوائرهم الاجتماعية. لكن نظام القيم هذا له عواقب اجتماعية ضارة لأنه يميل إلى تهميش أولئك الذين يفشلون في الحصول على أحدث السلع التي يمتلكها أقرانهم وجيرانهم. هذا يخلق دافعًا للَّحاق بالركب وتجاوز الآخرين، مما يؤدي إلى سباق فئران لا نهاية له أبدًا.

كيف تُزْرِي المتعة الفورية بصحتنا العقلية!

يتبين من الافتراض القائل بأن الناس يعرفون دائمًا ما هو الأفضل لهم أن خبراء الاقتصاد تجاهلوا التمييز بين الاحتياجات والرغبات، وبالتالي وضعوا أنفسهم أمام هدف غير قابل للتحقيق. فالرغبات لا تشبع، ولا سقف لها، بل تزداد مع زيادة الثروة. وفي حين أنها قد توفر متعة فورية، إلا أن الإشباع الفوري غالبًا ما يكون ضارًا بالصحة العقلية، وقد رُصِدت بالفعل حالات لتأثر كيمياء الدماغ وأنماط السلوك نتيجة لخلل في نظام المكافأة الكيميائي العصبي، وهو اضطراب عصبي ينشأ إما نتيجة الإدمان أو الاستهلاك القهري، ويتخذ ذلك الاضطراب عدة مظاهر وأعراض، أبرزها العاطفي المتمثل في القلق المتزايد والتوتر وعدم استقرار المزاج.

تعاليم الإسلام ملاذًا من جحيم المادية

قبل أن تتوصَّل الدراسات الحديثة إلى الآثار النفسية والسلوكية المترتبة على العيش في مجتمع استهلاكي قائم على الديون الربوية. تطرَّقت تعاليم الإسلام في غير موضع في القرآن الكريم إلى الحديث عن الآثار الضارة للقروض الربوية على سعادة الإنسان وطمأنينته، ليتبين لنا كيف أن السعي وراء المكاسب المالية على حساب الصحة الأخلاقية والعقلية يمكن أن يؤدي إلى تشويه الشعور بالذات والاتزان العقلي[٧]، فيقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰوا لَا يَقُومُونَ اِلَّا كَمَا يَقُومُ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطٰنُ مِنَ المَسِّ...﴾.[٨]

وتعليقًا على الآية السابقة، يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ: «إنه كما لا يرى المجنون العواقب على أفعاله، فكذلك الذين يدفعون الفائدة ينخفض إحساسهم بالكرامة ويصابون بعادة

فالرغبات لا تشبع، ولا سقف لها، بل تزداد مع زيادة الثروة. وفي حين أنها قد توفر متعة فورية، إلا أن الإشباع الفوري غالبًا ما يكون ضارًا بالصحة العقلية، وقد رُصِدت بالفعل حالات لتأثر كيمياء الدماغ وأنماط السلوك نتيجة لخلل في نظام المكافأة الكيميائي العصبي، وهو اضطراب عصبي ينشأ إما نتيجة الإدمان أو الاستهلاك القهري، ويتخذ ذلك الاضطراب عدة مظاهر وأعراض، أبرزها العاطفي المتمثل في القلق المتزايد والتوتر وعدم استقرار المزاج.

الإهمال والتسرع، وبالتالي يكونون أشبه بالمصاب بالجنون»[٩].. وما يشهد به الواقع، أنه في مجتمع تتفشَّى فيه القروض الربوية، يميل أصحاب رؤوس الأموال إلى تقديم القروض دون التحقق من قدرة المقترض على السداد. وفي المقابل، لا يفكر المقترضون دائمًا، لا سيما الواقعون في فخ شره الاستهلاك، لا يفكرون في مدى قدرتهم على سداد ديونهم.[١٠]

موقف الإسلام بين الزهد والرفاه

إن حب المال يمكن اعتباره من أهم القوى المسيرة للسلوك البشري منذ أقدم العصور. فالرغبة في امتلاك المقتنيات المادية، والمقترنة بالطموح المفرط الذي هو في غير محله والهادف غالبًا لتجاوز الآخرين في الثروة أو المكانة أو المنزلة الاجتماعية، إنما هي أصل معظم الصراعات البشرية.

والإسلام لم يدعُ في أي وقت إلى عيش حياة حرمان، حتى بالنسبة للقادرين على تحقيق الرفاه الاقتصادي، فإن الإسلام يدعوهم إلى ممارسة اقتصاد استهلاكي متوازن حيث يتم تقليص التفاوتات في الظروف الاجتماعية والاقتصادية بشكل كبير مقارنة بتلك الموجودة في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة. والمنظور الإسلامي للحياة يشجع الأفراد القادرين على تحقيق مستوى معيشي مادي أعلى على التنازل طواعية عن بعض وسائل الراحة والمساهمة في تحسين الظروف الاقتصادية للآخرين بروح التضامن الإنساني، فيقول تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ...﴾.[١١] كما حمل القرآن الكريم لواء مواجهة النزعة المادية البغيضة في غير آية، منها قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ...﴾[١٢] كما أولى خاتم النبيين ﷺ أهمية كبيرة جدًا للحياة البسيطة وبغَّض إلى الناس الترف الذي لا طائل من ورائه، فقال: «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا.»[١٣]

شريعة الإسلام وضبط عمليتي الاستدانة والإقراض

شريعة الإسلام تراعي في كل دقائقها مقتضيات الفطرة، لذا فهي شريعة تتسم بالمرونة، ومرونتها لا تتنافى مع كونها شريعة حازمة ضابطة، وبالنسبة لموضوع اللجوء إلى الدَّين، فهو يندرج تحت عنوان «الاضطراريات»، بمعنى أنه أمر مكروه بدرجة كبيرة، غير أنه تباح ممارسته عند الاضطرار فقط، وهذا أمر بدهي، إذ لن يُقدِم الإنسان الطبيعي على أن يُذِلَّ نفسه بالاستدانة دونما حاجة إلى ذلك. وبالنسبة لعملية الإقراض، فشريعة الإسلام ترغِّب في تقديم قروض حسنة، والقرض الحسن قرض لا تترتب عليه فائدة ربوية، ومع ذلك فإن عبئًا نفسيًا ثقيلا للغاية يقع على المستدين من أجل سداد دينه.

يمكن استشعار ثِقل العبء النفسي الناشئ عن الاستدانة، وذلك من خلال استكناه الدلالات التي يحملها الجذر اللغوي العربي «دَ يَ نَ»، فبحسب مقاييس اللغة «الدَّالُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ إِلَيْهِ يَرْجِعُ فُرُوعُهُ كُلُّهَا. وَهُوَ جِنْسٌ مِنَ الِانْقِيَادِ، وَالذُّلِّ. فَالدَّيْنُ: الطَّاعَةُ، يُقَالُ دَانَ لَهُ يَدِينُ دِينًا، إِذَا أَصْحَبَ وَانْقَادَ وَطَاعَ. وَقَوْمٌ دِينٌ، أَيْ مُطِيعُونَ مُنْقَادُونَ.»[١٤]

إن الإسلام يعمل على تعزيز ثقافة المواساة والتراحم والتكافل داخل المجتمع بحيث يمكن أن يرتقي بالمعاملات المالية لتكون أكثر صحة وأخلاقية وتعاطفًا. مثل هذا النهج من شأنه أن يعزز القيم الإنسانية في كل معاملة مالية ويؤكد على أهمية الموازنة بين الحكمة المالية والرفاهية العقلية.

الهوامش:

١. Dr. Clare Lally, Consumer Debt and Mental Health

٢. Merlyn Holkar, Financial difficulties and suicide: taking a closer look at the numbers

٣. Ryu S., Fan L., The Relationship Between Financial Worries and Psychological Distress Among US Adults

٤. مجلة التقوى، نوفمبر ٢٠١٩ يوم دون شراء

٥. مجلة التقوى، إبريل ٢٠٢٣ متاع الحياة الدنيا هل يحقق لنا سعادة حقيقية؟!،

٦. (آل عمران: ١٥)

٧. Dr. Ahmed Danyal Arif & Bilaal Dar, Smitten with Insanity: How Debt Undermines Mental Health

٨. (آل عمران: ١٥)

٩. Mirza Bashir-ud-Din Mahmud Ahmad, The Holy Quran with English Translation and Commentary, Vol 10 edition 2018 p. 427

١٠. مرزا طاهر أحمد، الإسلام والتحديات المعاصرة، الطبعة ٢، ص ١٧٩، الشركة الإسلامية المحدودة، لندن

١١. (آل عمران: ٩٤)

١٢. (الجاثية: ٢٤)

١٣. (رواه البخاري في الأدب المفرط)

١٤. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحت "د ي ن"

خواطر من البقاع المقدسة

(مصر)

د. أسامة عبد العظيم

أشواق على الطريق

كنت قد بدأت في كتابة هذه الخواطر وأنا يوشك أن يجمعني لقاء مع سيد الكونين وعظيم الثقلين ﷺ، مع الإنسان الكامل الذي سبق الأولين والآخرين، وارتقي به المقام إلى بقعة لم يصل إليها ملك مقرب عند رب العالمين..

ترى هل أليق بزيارتك يا حبيبي؟ وهل أكون ممن تفخر بهم من ضيوفك وزوار قبرك الشريف من كل بقعة من بقاع الدنيا؟ أم سيسود وجهي منك خجلا وحياء وقد اتيتك بقراب الأرض ذنوبا وتقصيرا؟

يا رب فاستر عيوبي ولا تفضحني بين يدي حبيبك وحبيبي... يا من تستر القبيح وتظهر الجميل، أره مني كل حسن واستر عنه مني كل قبيح وما أكثره... يا رب لا تكسر قلب حبيبك وحبيبي بذنبي وعصياني، ولا تحزن فؤاده بعجزي وكسلي وقعودي وسفول همتي، إنه يارب قد فارقنا بعد أن ترك لنا الأسوة والقدوة والمثل، وهو يرجو منا الكثير والكثير، فساعدني يا الله على أن أسير في درب يرضيه، وأن أعمل عملا يسعده ويقر عينه، وأن أحذو حذوه وحذو صحابته الكرام في البذل والتضحية والفداء حتى يطمئن قلبه أنه قد خلف رجالا لا تكتحل عيونهم بالنوم حتى يرافقوه في أعلى الجنان..

كم طال انتظاري لهذا اللقاء، وكم مزق الشوق كبدي لزيارة أرضك وموطنك العزيز.. وها أنا بعد جميل صبر وطول انتظار تسبقني إليك روحي، وتتسارع دقات قلبي في الطريق إلى مسجدك المبارك، تحتبس الكلمات في عقلي، وتترقرق في عينيَّ الدموع، فتارة أحبسها وتارة تغلبني فتنهمر..

هل حقا سأحظى بزيارة مدينة المصطفى ﷺ؟ وهل سأنعم بالصلاة في مسجد كان يصلي فيه هو وصحبه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين؟ آه يا حبيبي لو تلامس قدماي الخاطئتان موضعا وطئته قدماك الشريفتان! آه لو يتعفر جبيني بتراب نعليك في طريق سلكته! آه لو يتنعم صدري بنسيم هواء لامس خدك الطاهر، آه لو يستند ظهري إلى جدار تشرف بملامسة ظهرك! ليتني أعرف صخرة رقيتها لأنكب عليها مقبلا ومحتضنا! لله ما أكرم بقعة عشت بها يا حبيبي يا رسول الله! هنيها لأحجارها وأشجارها ونخيلها وطيورها التي تكحلت أعينها برؤية محياك الشريف..

إنني لم أنطلق بعد في سبيلي مُيَمِّمًا شطر مدينة النور زائرا ساكنها حبيبي المصطفى، ولكن مشاعر الشوق تعتمل من الآن في قلبي كغلي مرجل قاطرة تجوب الفيافي، فيا ترى ماذا عساه أن يحدث حين ألتقيك حقا يا حبيبي؟!

سلام على المهاجرين وسيدهم

كانت الرحلة طويلة من الطائف للمدينة المنورة، ست ساعات أو يزيد قضيناها على مقاعد وثيرة في حافلة مكيفة الهواء ومعنا طعامنا وشرابنا مما لذَّ وطاب، ورغم ذلك أصابنا ما أصابنا من المشقة والتعب!

سرحت بخاطري في حال أولئك النفر من الصادقين الأوائل الذين دفعوا ثمن إيمانهم بالحبيب المصطفى ﷺ غاليا ثمينا، كم كانوا رجالا بحق حين قرروا قطع تلك المسافات الطوال في رحلة الهجرة إلى الله ورسوله غير عابئين بالحر الشديد، ولا مبالين بالجوع والعطش، ولا خائفين من هوام الأرض وسباع الصحاري.. أي بذل هذا وأي تضحية تلك؟ إنها نموذج يسطره التاريخ بمداد من ذهب على مر العصور.. من اليسير على الإنسان أن يعلن اعتناقه لفكرة أو عقيدة أو دين، لكن أن يترجم هذا الإعلان بصورة عملية، ويضحي في سبيل دينه وعقيدته بأهله ووطنه وماله وديارة بغير تردد ولا حساب فهذا هو الإيمان الحق الذي قدمه صحابة النبي ﷺ للدنيا كلها إلى قيام الساعة..

دارت بذهني تلك الخواطر وأنا أقارن بكل حزن وأسى حالنا اليوم بحال ذلك الرعيل الأول، وأضع تكاسلنا وقعودنا وضعفنا بجوار هممهم التي ناطحت كبد السماء، فالواحد منا يتكاسل عن حضور اجتماع ديني، أو الذهاب لجلسة روحانية على الرغم من أنه سيستقل سيارة مكيفة، وسيجلس على مقعد مريح، ولن يقطع تلك المسافات القصيرة نسبيا سيرا على الأقدام، فقلت في نفسي: لو كنا حقا صادقين في دعوانا الإيمان بإمام الزمان، وكنا فعلا نعد أنفسنا من جماعة الآخرين، فهذا هو الطريق واضح لا لبس فيه ولا غموض، تضحية صادقة مع انكسار لأبعد الحدود.. حينها فقط سينصر الله بنا الدين كما نصره بأولئك الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من كان ينتظر.. والذين كان الثبات والاستقامة شعارهم دوما فما انحرفوا وما ارتدوا على أعقابهم، وما بدلوا تبديلا..

لاحت مشارف طيبة.. واشوقاه لأوقات البداية!

مع نسمات الغروب المؤذنة بحلول ليلة الجمعة داعبت أرواحنا نسائم طيبة الطيبة، وحطت بنا الرحال في أرض المحبوب على مشارف مدينة المصطفى ﷺ.. ارتفع أذان المغرب وتقرر التوجه أولا إلى مسجد قباء لأداء الصلاة ثم الانطلاق بعدها نحو المسجد النبوي..

عادت بي الخاطرة أكثر من ألف وأربعمائة عام إلى الوراء لتشهد لحظة قدوم النبي ﷺ والمهاجرين الأوائل

لو كنا حقا صادقين في دعوانا الإيمان بإمام الزمان، وكنا فعلا نعد أنفسنا من جماعة الآخرين، فهذا هو الطريق واضح لا لبس فيه ولا غموض، تضحية صادقة مع انكسار لأبعد الحدود.. حينها فقط سينصر الله بنا الدين كما نصر به أولئك الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من كان ينتظر.. والذين كان الثبات والاستقامة شعارهم دوما فما انحرفوا وما ارتدوا على أعقابهم، وما بدلوا تبديلا.

لتلك البقعة المباركة، وتناهى إلى سمعي لحن الترحيب بخاتم النبيين، ورأيت بعين قلبي رجال المدينة ونساءها، وصبيتها يهرعون جميعا في دروب المدينة قاصدين مشارفها في انتظار صاحب الثغر الباسم والوجه الأغر بكل لهفة وشوق..

كانت الهجرة هي نقطة البداية في مسيرة نصر الإسلام وتقدمه.. وكان مسجد قباء الذي صلينا فيه المغرب بداية العهد الإسلامي في المدينة المنورة وكان أول مسجد بني في الإسلام.. هاجت في نفسي أشواق الذكرى نحو البدايات وأوائل خطوات المسير في طريق الرحمن عز وجل.. وتذكرت قول أحد الصالحين حين تأوه متأسفا: «واشوقاه لأوقات البداية!»، وقد صدق، فالبدايات دوما تكون مليئة بالصدق، مفعمة بالحماس، مكللة بالجهد الشاق والبذل والتضحيات الجسام.. ثم ما يلبث تعاقب الأيام وتباعد الأزمان أن يصيب القلب بالفتور، والحماسة المتوقدة بالكسل والخمول..

فطوبى لمن صحت بدايته، وطوبي ثم طوبى لمن حافظ على مشعل الحماسة متقدا طوال سيره إلى الله تعالى، ولم يترك روحه فريسة للتواني والكسل وتراخي العزيمة.. واليوم، ونحن نرى أنفسنا وغيرنا قد خمدت في قلوبهم جذوة الإيمان، وانطفأت بين جوانحنا العاطفة الجياشة، فإننا أحوج ما نكون إلى وصية الحبيب المصطفى ﷺ حين سأله أحد الناس قائلا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي أَمْرًا فِي الْإِسْلَامِ لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»[1]، فكأن النبي ﷺ أراد تنبيه السائل وتنبيهنا جميعا على خطورة الفتور بعد فورة البدايات القوية..

آه لو تعود بنا الأيام لمشاعر يوم البيعة وإعلان الإيمان بصدق المسيح الموعود والدخول في جماعته، فليقارن كل منا حاله الآن بتلك الحال في لحظة الصدق الصافية يوم فارق الدنيا كلها من حوله معلنا بيعته، ويوم تحدي كل الظروف والصعاب وتجاوز كل العقبات وتخلي عن كل الروابط والعلاقات من أجل رضا الله تعالى والإيمان بمبعوثه السماوي.. ترى هل يتوق كل منكم مثلي لإيمان البدايات، وصدق البدايات، وإخلاص البدايات، ويقين البدايات، ورقة القلب ودمعة العين في البدايات؟ اللهم إني أتوق إليها فردها إليَّ يا رب العالمين، وارزقني الثبات عليها حتى الممات عاملا بقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2]

في رحاب الروضة الشريفة، آتاني الله كفلين من رحمته!

في هذه الرحلة المباركة شرفني الله تعالى بالصلاة في الروضة الشريفة مرتين في أقل من يومين، وعقب زيارتي

الثانية استشعرت هذه الآية الكريمة ﴿...يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ...﴾[٣].. فأي رحمة أعظم من شرف زيارة الحبيب، والصلاة في روضته المباركة مرتين في يومين متتاليين.. ومن يعرف تعقد الإجراءات الاحترازية في زيارة الروضة الشريفة وغيرها من بعد كورونا، فهو وحده فقط سوف يدرك ما أعنيه..

ولمن لا يعرف، فزيارة الروضة الشريفة، والصلاة فيها هذه الأيام ليست أمرا هينا ولا يسيرا.. فعليك أولا أن تقوم بحجز موعد من على أحد التطبيقات الذكية التي خصصتها الحكومة لذلك، على أن يكون الحجز قبل الموعد بفترة كافية نظرا للضغط والإقبال على الحجز.. ثم إن يسر الله لك الحجز فعليك التقيد به ولا يسمح لك بالحجز لزيارة أخرى إلا بشرط مرور شهر كامل على موعد الزيارة الأولى، وهناك على باب الروضة مراجعة دقيقة لكل زائر للتأكد من صحة تصريحه، وذلك بعمل مسح إلكتروني لكود QR الموجود في التصريح..

لعل الصورة الآن قد اتضحت قليلا.. ولعل رحمة الله بالتكرم على العبد الفقير بزيارتين في يومين متتاليين باتت جلية..

وأزيد من الشعر بيتا آخر، فالحقيقة أنني حين بدأت رحلتي يوم الخميس لم أكن أملك ولا تصريحا واحدا لزيارة الروضة الشريفة، فعلى مدار أسبوع سابق للرحلة حاولت عبثا الحجز للزيارة كل يوم ولم أستطع، وبدأ يتسلل إلى نفسي شعور بعدم استحقاقي لهذا الشرف.. وفجأة في طريق الرحلة كنت أحاول الحجز فوفقت بفضل الله تعالى، وكانت تلك أولى البشريات، ثم رزقني الله بالزيارة الثانية من حيث لا أحتسب. المهم أنني كنت أطمع في زيارة واحدة ففتح لي الحبيب بابه فزرت وسلمت فور قدومي، ثم فتح لي الباب ثانية، فزرته وسلمت عليه مرة أخرى نافلة لما حان وقت رحيلي، فلله الحمد في الأولى والآخرة..

لكن، مهلا يا نفس لا تغتري، فالحق أنك فعلا لا تستحقين ولو ذرة من تراب نعلي الحبيب المصطفى ﷺ، لكنه كريم، وهو بنا رؤوف رحيم، والكريم يقبل على زائره بوجه بشوش ونفس ترحابة أيا كانت حاله ومصائبه.. ومن تمام مروءته ونخوته ﷺ فهو يغض الطرف عن عيوب زواره وتقصير قاصديه، ويعاملهم معاملة يظنون بها أنهم أقرب الناس إليه، وهذا والله من أخلاق الرجال ذوي المروءة والكرم فما بالنا بسيد الكرماء ﷺ..

هل رأيت ملكا عزيزا رحيما كريما يغلق بابه دون زواره وقاصديه أيا كانوا!! فبمثل هذا الكرم عاملتني يا حبيبي يا رسول الله.. رفعت عني الحرج، وسترت مني العيب، وغضضت الطرف عن التقصير، فلم ترق أبدا ماء وجهي، بل ما أشعرتني بعيبي وتقصيري، أقبلت على عبدك ومحبك إقبال من يترقب مجيء غائب عزيز عليه، ما أحلمك يا سيدي إذ لم تدر وجهك عني رغم تقصيري وضعفي! وكيف لا وأنت سيد الخلق وأعظم من تخلَّق بأخلاق رب العالمين؟! يأتيك الكسير والكسيح والمريض والفقير فتبش لهم جميعا وتستبشر بهم، وتلقاهم لقيا الكرام المحبوبين، لا لأننا أهل لذلك، بل لأنك أنت عنوان الكرم ومحاسن الأخلاق، وانت يا سيدي أحق بها وأهلها.. فصلاة وسلاما عليك يا حبيبي دائمين ما دامت السموات والأرض، عشقي لكم يزداد كل حين، ومقامكم فى فؤادي قد بلغ أعلى عليين، فلا تحرمني صحبتك يوم الدين.. آمين يا رب العالمين.

الهوامش:

١. (مسند أحمد, كتاب مسند المكيين)
٢. (الحجر: ١٠٠)
3. (الحديد: ٢٩)

altaqwa.net
الجن بين الحقيقة والخرافة
أغسطس 2022
سبتمبر 2022
أكتوبر 2022
نوفمبر 2022
ديسمبر 2022
مارس 2022
إبريل 2022
مايو 2022
يونيو 2022
يوليو 2022
أكتوبر 2021
نوفمبر 2021
ديسمبر 2021
يناير 2022
فبراير 2022

AL-TAQWA

Monthly Islamic Magazine Vol. 38 - Issue 2, June 2025

www.altaqwa.net